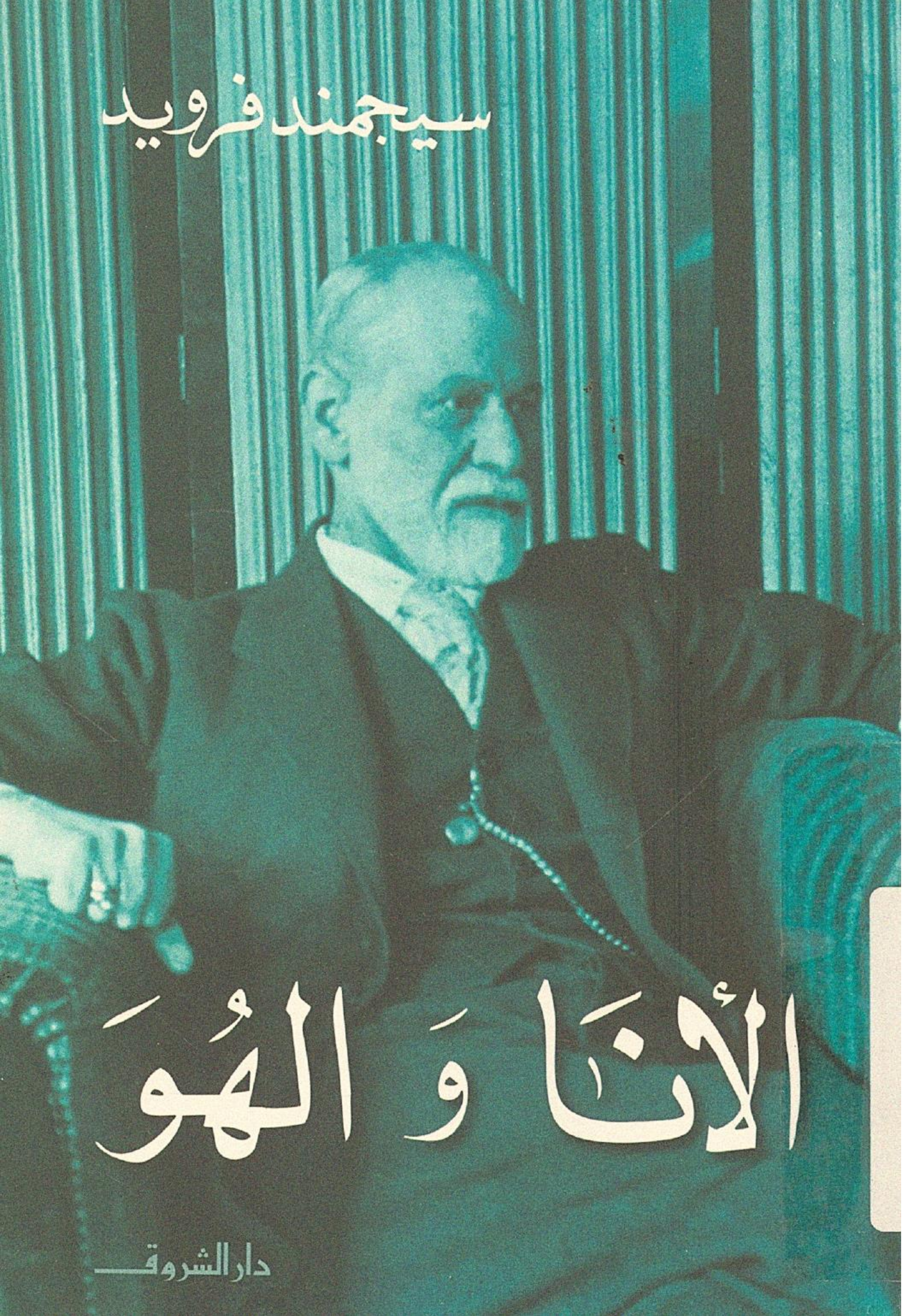

سيجمند فرويد
الأنا و الهو
دار الشروق

الطبعــة الرابعــة

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الطبعة الأولى ١٩٥٤

الطبعة الثانية ١٩٥٥

الطبعة الثالثة ١٩٦٦

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥١٠١ - برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٧٧٤٨١٤ - برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي
بإشراف الدكتور محمد عثمان نجاتي

الأنا والهو

الطبعة الرابعة

تأليف
سيجمند فرويد

ترجمة
الدّكتور محمّد عُثمان نجاتي
استاذ علم النفس بجامعة القاهرة
وجامعة الكويت

دار الشروق

محتويات الكتاب

تصدير الطبعة الرابعة

حينما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عام ١٩٥٤ لم تكن مصطلحات التحليل النفسي معروفة جيداً بين كثير من القراء . ولقد تراءى لي في ذلك الوقت أن عنوان « الأنا والهو» قد يكون غامضاً على بعض القراء ، ولذلك اخترت للكتاب عنواناً آخر أقرب إلى فهم القارئ العادي ، ولكنه في نفس الوقت يؤدي ، تقريباً ، نفس معنى العنوان الأصلي للكتاب . والعنوان الذي اخترته في ذلك الوقت هو «الذات والغرائز» . فلفظ «الذات» مرادف للأنا ، ويؤدي نفس المعنى . و «الغرائز» تصدر عن «الهو» ، وهي تكون الجزء الأعظم منه .

وفي خلال السنوات الثماني والعشرين التي مضت عقب صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب صدرت في المكتبة العربية كتب كثيرة في علم النفس والتحليل النفسي بحيث أصبحت معظم مصطلحات التحليل النفسي معروفة لدى كثير من القراء . ولذلك رأيت أن تصدر الطبعة الرابعة من هذا الكتاب بعنوانه الأصلي وهو « الأنا والهو» .

وقد قمت بمراجعة الترجمة على الترجمة الإنجليزية المعدلة التي ظهرت في أمريكا عام ١٩٦٢ م ، وأدخلت بعض التنقيحات والتعديلات .

٩/١١/١٩٨١ .

محمد عثمان نجاتي

مُقـَـدّمَة المتـَــرْجم

كان كل اهتمام علماء النفس قبل ظهور مدرسة التحليل النفسي متجهاً إلى دراسة الظواهر العقلية الشعورية ، ولم يكن أحد منهم يهتم بالبحث عن العمليات العقلية اللاشعورية التي تحرك سلوك الإنسان وتدفعه إلى القيام بصور النشاط المختلفة السوية والشاذة على السواء . ولقد كان من نتيجة إغفال علماء النفس في الماضي لهذه الناحية الهامة من الحياة النفسية أن ظل كثير من مظاهر السلوك الإنساني عصياً على التفسير ، وصعباً على الفهم ، وبعيداً عن متناول البحث العلمي .

ويرجع الفضل إلى سيجمند فرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩) مؤسس مدرسة التحليل النفسي في اكتشاف تلك الحقيقة الهامة وهي أن جزءاً كبيراً من حياتنا العقلية لاشعوري ، وأن لهـذا الجزء اللاشعوري من حياتنا العقلية تأثيراً كبيراً على سلوكنا ومشاعرنا سواء في حياتنا السوية أو فيما نتعرض له من اضطرابات وأمراض نفسية .

نظرية اللاشعور

لقد كانت فكرة اللاشعور معروفة من قبل فرويد ، ولكنها كانت في الغالب فكرة غامضة غير واضحة المعالم . ولم نجد أحداً من الذين قالوا

باللاشعور من قبل فرويد قد نسب إليه ذلك الـدور الـديناميي الهام الذي نجده في مذهب فرويد والذي تميزت به نظرية التحليل النفسي .

ويرجع تاريخ اكتشاف فرويد للاشعور ولما له من أهمية عظيمة في حياة الإنسان إلى وقت اشتغاله بدراسة مرض الهستيريا منذ عام ١٨٨٠ بالاشتراك مع جوزيف بروير Joseph Breuer (١٨٤١ – ١٩٢٥) أحد أطباء فيينا المشهورين . ولقد اتضح لهما نتيجة لهذه الدراسة أن الأعراض الهستيرية إنما تنشأ عن ذكريات مكبوتة في اللاشعور ، وأن هذه الأعراض تزول إذا ما استطاع المريض تذكر هذه الذكريات أثناء العلاج .

ولم يكن من السهل أن يقتنع الفلاسفة والعلماء في ذلك الوقت بوجود عقل لاشعوري كما كان يقول فرويد . وكان الرأي السائد بين المفكرين في ذلك الوقت هو أن العقل لا بد أن يكون شعورياً ، وأن القول بوجود عقل لاشعوري إنما هو قول متناقض لا يقبله المنطق . وهكذا لاقت فكرة فرويد عن العقل اللاشعوري كثيراً من النقد والسخرية في أول الأمر ، وكان على فرويد أن يرد على الانتقادات التي وجهت إلى نظريته ، وأن يحاول إثباتها بالحجج والبراهين المستمدة من خبرته الإكلينيكية . وقد اهتم فرويد في مواضع كثيرة من مؤلفاته الأولى بإثبات نظريته في اللاشعور وبالرد على خصومه . وهو يعود مرة أخرى في كتاب « الأنا والهو » إلى تناول هذا الموضوع من جديد محاولاً شرح نظريته في إيجاز ووضوح والرد على الانتقادات التي وجهت إليها .

ونستطيع أن نلمس في آراء فرويد الواردة في هذا الكتاب فيما يتعلق باللاشعور وعلاقته ببقية أجزاء الجهاز النفسي تعديلاً واضحاً لآرائه السابقة في الجهاز النفسي التي ذكرها في مؤلفاته الأولى . ومن المعروف أن فرويد كان كثير التعديل والتغيير لآرائه ونظرياته على ضوء ما كانت تكشفه له ملاحظاته وأبحاثه من معلومات جديدة . ولقد

تعرضت نظرياته في الجهاز النفسي وفي الغرائز على وجه خاص لتعديلات هامة شرحها فرويد في كتابه « الأنا والهو » الـذي صدر في فيينا عام ١٩٢١ وهو الكتاب الذي نقدمه الآن إلى القراء .

نظرية الجهاز النفسي

ذهب فرويد في كتاباته إلى القول بوجود ثلاثة أقسام أو أجزاء للجهاز النفسي هي الشعور ، وما قبل الشعور ، واللاشعور . وكان فرويد يعني بالشعور ما كان يعنيه سائر علماء النفس وعامة الناس من هذه الكلمة . فهو ذلك القسم من العمليات النفسية التي نشعر بها وندركها ومن المشاهد أن العمليات النفسية الشعورية لا تكوّن سلسلة متصلة ، بل يوجد فيها دائماً كثير من الثغرات والفجوات . وقد رأى فرويد أنه من الممكن تفسير هذه الثغرات في سلسلة العمليات النفسية الشعورية بالرجوع إلى العمليات النفسية التي تجري في القسمين الآخرين من العقل وهما « ما قبل الشعور » و « اللاشعور » .

إن الشعور حالة وقتية وليست دائمة . فالفكرة قد تظهر في الشعور لفترة قصيرة ثم تختفي . وهي تستطيع الظهور مرة أخرى في الشعور بسهولة إذا توفرت شروط معينة . وحينما تبتعد الفكرة عن الشعور لحين ما ، فإنها تكون موجودة في قسم معين من الجهاز النفسي يسميه فرويد « ما قبل الشعور » وهو يقع في مكان متوسط بين الشعور واللاشعور .

وتوجد بعض العمليات النفسية التي تستطيع أن تحدث في النفس جميع الآثار التي تحدثها الأفكار العادية بدون أن تكون هي نفسها شعورية ، وهي تحتاج إلى كثير من المشقة والجهد لكي تصبح شعورية . وهذه هي العمليات النفسية التي يسميها فرويد لاشعورية ، وهي موجودة في ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يسمى « اللاشعور » . ويحوي اللاشعور

الدوافع الغريزية البدائية الجنسية والعدوانية التي غالباً ما تكبت في مجتمعاتنا المتحضرة تحت تأثير المعايير الخلقية والدينية والاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد . وتنزع الدوافع والرغبات المكبوتة في اللاشعور إلى الإشباع وإلى الظهور في الشعور ، وهي كثيراً ما تلجأ في سبيل ذلك إلى طرق شاذة ملتوية كما يشاهد مثلاً في الأمراض العصابية .

وذهب فرويد في كتاباته الأولى إلى أن كبت هذه الدوافع الغريزية الموجودة في اللاشعور يتم على يد « الرقيب » Censor وهو القوة النفسية التي وضعها فرويد كحارس للممرين الموجودين بين اللاشعور وما قبل الشعور من جهة ، وبين ما قبل الشعور والشعور من جهة أخرى . وتتلخص مهمة هذا الرقيب في منع ظهور الدوافع الغريزية اللاشعورية في الشعور . ويظهر عمل الرقيب أثناء التحليل في صورة « مقاومة » Resistance تمنع من ظهور العمليات النفسية المكبوتة .

وكان فرويد في أول الأمر يستعمل ألفاظ « اللاشعور » و « الشعور » و « ما قبل الشعور » بمعنيين ، أحدهما وصفي والآخر طوبوغرافي . أما المعنى الوصفي فكان يدل على كيفية العملية النفسية من حيث شعورنا بها أو عدم شعورنا بها . أما المعنى الطوبوغرافي فيتضمن وجود أقسام مختلفة في الجهاز النفسي تكون مركزاً للعمليات النفسية المختلفة . فاللاشعور هو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي جميع العمليات النفسية اللاشعورية ويسمى « الهو » . والشعور هو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي جميع العمليات النفسية الشعورية ويسمى « الأنا » . أما قبل الشعور فهو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يقع في مكان متوسط بين القسمين السابقين .

واتضح لفرويد فيما بعد أن آراءه السابقة في الجهاز النفسي غير دقيقة وأنها في حاجة إلى تعديل . فقد كان يرى مثلاً أن الأنا هو الذي يقوم بعملية الكبت التي تمنع بعض نزعات النفس من الظهور في الشعور ، وهو الذي يقوم أيضاً بالمقاومة التي تظهر أثناء التحليل . وقد لاحظ

فرويد أيضاً أن هذه المقاومة التي تصدر عن الأنا إنما هي في الأغلب لاشعورية . وذلك لأن المريض لا يكون عادة متنبهاً إليها أو شاعراً بها ، بل إنه إذا ووجه بها أنكرها . وحتى إذا بدأ يشعر بها فهو لا يستطيع أن يعرف ما هي وما مصدرها . وبما أن هذه المقاومة تصدر عن الأنا فقد رأى فرويد نفسه مضطراً إلى أن يستنتج وجود جزء لاشعوري في الأنا .

انتهى فرويد إلى ضرورة تعديل آرائه السابقة في تركيب الجهاز النفسي . وقد احتفظ في هذا التعديل بالقول بوجود الكيفيات النفسية الثلاث التي سبق أن قال بها ، وهي « الشعور » و « ما قبل الشعور » و « اللاشعور » . ولكنه عدل نظريته الطوبوغرافية فقال بأقسام ثلاثة جديدة للجهاز النفسي هي « الهو » و « الأنا » و « الأنا الأعلى » . وليست هناك مقابلة مباشرة بين هذه الأقسام الثلاثة للجهاز النفسي وبين الكيفيات النفسية الثلاث .

و « الهو » هو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي كل ما هو موروث وما هو موجود منذ الولادة ، وما هو ثابت في تركيب البدن . وهو يحوي الغرائز التي تنبعث من البدن ، كما يحوي العمليات النفسية المكبوتة التي فصلتها المقاومة عن الأنا . ففي الهو إذن جزء فطري وجزء مكتسب . ويطيع الهو « مبدأ اللذة » Pleasure Principle ، وهو لا يراعي المنطق أو الأخلاق أو الواقع . واللاشعور هو الكيفية الوحيدة التي تسود في الهو .

وتحت تأثير العالم الخارجي عن طريق جهاز الإدراك الحسي والشعور تغير الجزء الخارجي من الهو ، ونما نمواً خاصاً ، واكتسب خصائص معينة . وقد أطلق فرويد على هذا الجزء من حياتنا النفسية اسم « الأنا » . ويشرف الأنا على الحركة الإرادية ، ويقوم بمهمة حفظ الذات . وهو يقبض على زمام الرغبات الغريزية التي تنبعث عن الهو فيسمح بإشباع ما يشاء منها ويكبت ما يرى ضرورة كبته مراعياً في ذلك « مبدأ الواقع » Reality Principle . ويمثل الأنا الحكمة وسلامة العقل على خلاف

الهو الذي يحوي الانفعالات . وتقع العمليات النفسية الشعورية على سطح الأنا . وكل شيء آخر في الأنا فهو لاشعوري .

والأنا الأعلى هو ذلك الأثر الذي يبقى في النفس من فترة الطفولة الطويلة التي يعيش فيها الطفل معتمداً على والديه وخاضعاً لأوامرهما ونواهيهما . ويقوم الأنا عادة بتقمص شخصية الوالدين ومن يشبههما من المدرسين والمربين ، وبذلك تتحول سلطة هؤلاء الأشخاص الخارجية إلى سلطة نفسية داخلية في نفس الطفل تأخذ تراقبه ، وتصدر إليه الأوامر ، وتنقده ، وتهدده بالعقاب . ويطلق فرويد على هذه القوة النفسية « الأنا الأعلى » Super-Ego ، أو الأنا المثالي The Ego-Ideal ، وهو ما يعرف عادة بالضمير . ويمثل الأنا الأعلى ما هو سام في الطبيعة الإنسانية . « فهو الذي يمثل علاقتنا بوالدينا . وقد عرفنا هذه الكائنات السامية حينما كنا أطفالاً صغاراً ، وقد أعجبنا بها وخشيناها ، ثم بعد ذلك تمثلناها في أنفسنا[١] » .

وبهذا التنظيم للجهاز النفسي تصبح مهمة الأنا مهمة شاقة دقيقة . فعليه أن يقوم بمراعاة هذه السلطات الثلاث وهي العالم الخارجي والهو والأنا الأعلى . وهو يحاول دائماً أن يوفق بينها . وإذا فشل في ذلك نشأت الاضطرابات العصابية والذهانية .

نظرية الغرائز

رأى فرويد أن جميع الظواهر النفسية سواء كانت شعورية أو لاشعورية ، وسواء كانت سوية أو مرضية إنما تصدر عن قوى ديناميـة أساسية تنبعث عن التركيب الفسيولوجي والكيميائي للكائن الحي .

---

(١) انظر الفصل الثالث .

وتسمى هذه القوى بالغرائز ، وهي الطاقة التي تصدر عنها جميع ظواهر الحياة .

وقد حاول فرويد في أول الأمر أن يفسر جميع الظواهر النفسية بافتراض وجود مجموعتين أساسيتين من الغرائز . المجموعة الأولى هي « الغرائز الجنسية » التي تصدر عن طاقة خاصة تسمى الليبيدو Libido ، وهي تهدف دائماً إلى الإشباع واللذة . والمجموعة الثانية هي « غرائز الأنا » ومهمتها العمل على حفظ الذات ، وذلك بمراعاة العالم الخارجي ومقتضيات الواقع من جهة ، وبكبت الدوافع الجنسية التي تتعارض مع مقتضيات الواقع أو مع وظائف غرائز الأنا من جهة أخرى .

وتعمل الغرائز وفقاً لمبدأ اللذة . فليس الدافع الغريزي في الواقع إلا ناتجاً عن حالة من التوتر ينتج عنها إحساس بالألم . ويهدف الدافع الغريزي إلى خفض هذا التوتر أو إزالته ، وحينما ينخفض هذا التوتر أو يزول يحدث الشعور باللذة . واتخذ فرويد من مبدأ اللذة أساساً يفسر به الظواهر النفسية المختلفة كما يفسر به الأعراض العصابية . فليست الأعراض في نهاية الأمر إلا محاولات بديلة أو حلول توفيقية تهدف إلى التخلص من التوتر وتجنب الألم .

ولقد وجد فرويد فيما بعد كثيراً من الصعوبات في تفسير بعض الظواهر النفسية على ضوء نظريته السابقة في الغرائز . فلم يكن من السهل مثلاً الملاءمة بين نظريته السابقة في الغرائز وبين ظاهرة النرجسية . والنرجسية ظاهرة تعبر عن حب الإنسان لنفسه وعشقه لذاته . وتدل هذه الظاهرة على أن الغريزة الجنسية لا تتعلق فقط بالأهداف الجنسية الخارجية وإنما تتعلق أيضاً بالذات وتتخذها هدفاً لها . وقد دفع ذلك فرويد إلى القول بأن لبيدو الطفل (أي طاقته الجنسية) يكون متعلقاً في أول الأمر بذات الطفل نفسه ، وأن جميع اللذات التي يشعر بها الطفل إنما تصدر في أول الأمر عن بدنه الخاص . وتبدو له الأشياء الخارجية

التي قد تسبب له شيئاً من اللذة كثدي الأم مثلاً كأنها جزء من بدنه وليست شيئاً منفصلاً عنه . ثم تبدأ الموضوعات الخارجية تتميز في نظر الطفل شيئاً فشيئاً ، ثم يأخذ جزء من طاقته الجنسية يتجه نحو هذه الموضوعات . وقد يستمر « حب الذات » جنباً إلى جنب مع « حب الموضوع » . وقد ترتد الطاقة الجنسية المتجهة نحو الخارج فتتجه مرة أخرى إلى الذات كما يحدث في كثير من الحالات المرضية .

ومن بين حالات النرجسية التي كانت لها أهمية خاصة حالات الهُجَاس (توهم المرض) Hypochondriasis وهي الحالات التي يتوهم فيها بعض العصابيين أنهم مصابون بأمراض بدنية دون أن تكون هناك أمراض حقيقية في البدن . وفي حالات الهجاس يتركز اهتمام المريض في أعضاء بدنه . ويفسر فرويد ذلك على أساس التغير الذي يحدث في توزيع كمية الليبيدو عند هؤلاء المرضى . فالليبيدو عند هؤلاء المرضى قد ارتد عن أهدافه الخارجية الطبيعية واتجه نحو أعضاء البدن . ولما كانت الطاقة الجنسية يمكن أن تتعلق بالذات وبأعضاء البدن ووظائفه ، فإن معنى ذلك أن غرائز الأنا يمكن أن تتشبع بالطاقة الجنسية . ويستنتج فرويد من ذلك أن التقابل الموجود بين الغرائز الجنسية وغرائز الأنا وهو التقابل الذي سبق أن قال به لم يعد بعد صحيحاً . وهكذا تبين لفرويد في آخر الأمر أنه لا بد من تعديل نظريته في الغرائز .

وإلى جانب ذلك فقد رأى فرويد أيضاً أن مبدأ اللذة لم يكن كافياً لتفسير بعض الظواهر النفسية . فقد شاهد مثلاً أن المرضى يظهرون ميلاً شديداً إلى تكرار بعض خبراتهم المؤلمة السابقة . وهم يفعلون ذلك تحت تأثير دافع قوي يلزمهم على التكرار . واستنتج فرويد من هذه الظاهرة وجود دافع غريزي سماه « إجبار التكرار » Repetition-Compulsion . وقد اعتبره فرويد دافعاً غريزياً أكثر بدائية وفطرية من مبدأ اللذة . كما رأى فيه أيضاً مبدأ يناقض مبدأ اللذة لأن المريض لا يحصل على أية

لذة من وراء تكرار الخبرات المؤلمة القديمة .

ورأى فرويد أيضاً أثناء الحرب العالمية الأولى ظاهرة جديدة أيدت رأيه في مبدأ « إجبار التكرار » . فقد رأى في « عصاب الصدمة » Traumatic Neuosis ظاهرة أخرى تعارض مبدأ اللذة . فقد لوحظ أن الجنود الذين تعرضوا لصدمات شديدة أثناء القتال يقومون دائماً بتكرار هذه الخبرات المؤلمة في أحلامهم . وكان فرويد يعتبر الأحلام وسائل لإشباع الدوافع المكبوتة . وكل إشباع يؤدي بالطبع إلى اللذة . ولكن أية لذة يمكن أن تحدث من تكرار الخبرات المؤلمة التي تظهر في أحلام الجنود المصابين بعصاب الصدمة . وقد اضطر فرويد أمام هذه الحقائق وغيرها من الحقائق الأخرى المشابهة التي ناقشها في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة » إلى القول بوجود ميل غريزي إلى الرجوع إلى الحالة السابقة للكائن الحي . وإذا كان هناك دافع غريزي يدفع الكائن الحي إلى الرجوع إلى الحالة السابقة ، فلا بد إذن من أن نفترض وجود «غريزة موت» تدفع الكائن الحي إلى الرجوع إلى الحالة غير العضوية السابقة للحياة . وتهدف غريزة الموت إلى الهدم وإنهاء الحياة . وإذا اتجهت هذه الغريزة إلى الخارج بدت في صورة رغبة في العدوان والتدمير . وقد وجد فرويد في « غريزة الموت » فرضاً نافعاً استطاع أن يفسر به كثيراً من الظواهر النفسية المعقدة التي كانت تحيره من قبل كالسادية والماسوكية مثلاً كما سنبين ذلك فيما بعد .

وفي مقابل غريزة الموت قال فرويد بمجموعة أخرى من الغرائز سماها إيروس Eros ، أي غرائز الحب والحياة ، وهي تشمل كلا من الغرائز الجنسية وغرائز الأنا ، وهي الغرائز التي كان يظن أنها متقابلة ومتعارضة في أول الأمر .

ويهدف إيروس دائماً إلى تأليف الذرات وإلى تكوين وحدات أكبر والعمل على بقائها ، أي أنها تهدف دائماً إلى استمرار الحياة . وتهدف

غريزة الموت إلى تفتيت الذرات وتفكيك الارتباطات ، أي أنها تهدف إلى هدم الأشياء وإنهاء الحياة[1] . وتصبح الحياة نفسها صراعاً وحلاً بين هذين الاتجاهين .

وتوجد هاتان المجموعتان من الغرائز متحدتين ومختلطتين الواحدة بالأخرى . « فعملية الأكل عبارة عن تحطيم للطعام لغرض إدماجه في الجسم . والعملية الجنسية عبارة عن فعل عدواني الغرض منه الوصول إلى أوثق أنواع الاتحاد[2] » . وتعتبر السادية Sadism « وهي التلذذ من إيلام الغير » ، والماسوكية Masochism « وهي التلذذ من إيلام الذات » من الأمثلة النموذجية التي تدل على اتحاد هاتين المجموعتين من الغرائز . فالسادية عبارة عن اتحاد الغرائز الجنسية مع غرائز الهدم الموجهة نحو العالم الخارجي . وتنشأ الماسوكية عن اتحاد الغرائز الجنسية مع غرائز الهدم الموجهة ضد الذات .

وتنشأ عن التغيرات التي تحدث في النسب التي تمتزج بها هاتان الغريزتان نتائج هامة . فزيادة العدوان الجنسي من شأنه أن يجعل من المحب قاتلاً ، بينما يؤدي النقصان الكبير في العامل العدواني إلى الخجل أو إلى فقدان القدرة الجنسية[3] .

وقد تنفصل هاتان المجموعتان من الغرائز فتشاهد غريزة الموت تظهر بوضوح في نوبة الصرع وفي كثير من الأمراض العصابية الشديدة كالأمراض العصابية القهرية .

هذه هي أهم التعديلات التي أدخلها فرويد في آرائه في الجهاز النفسي

---

(١) سيجمند فرويد : معالم التحليل النفسي ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الخامسة ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٢ ، الفصل الثاني .

(٢) المصدر السابق ، الفصل الثاني .

(٣) المصدر السابق ، الفصل الثاني .

وفي الغرائز . ويعتبر كتاب « الأنا والهو» من أهم كتب فرويد الأخيرة التي شرح فيها آراءه النهائية في هذين الموضوعين .

وقد توخيت في ترجمتي عن النص الإنجليزي غاية الدقة بحيث جاءت الترجمة حرفية تقريباً . وقد ذيلت الكتاب بكثير من الهوامش لشرح ما ورد في الكتاب من مصطلحات وللتعليق على بعض آراء فرويد . ولقد وضعت هذه الهوامش بين قوسين مضلعين للتمييز بينها وبين هوامش الكتاب الأصلية .

١٩٥٤/١/٢٧ .

محمد عثمان نجاتي

مُقَدّمَة المؤلِف

لقد بدأت في كتابي « ما فوق مبدأ اللذة[1] » الذي نشر في عام ١٩٢٠ بمناقشة سلسلة من الأفكار التي يمكن وصف موقفي منها ، كما ذكرت في ذلك الكتاب ، بأنه نوع من حب الاستطلاع المفيد . وفي الصفحات التالية ستزداد هذه الأفكار وضوحاً . فلقد تناولت هذه الأفكار وربطت بينها وبين كثير من الحقائق المشاهدة في التحليل النفسي ، وحاولت أن أستخلص من المجموع نتائج جديدة . ولن نستمد في الكتاب الحالي آراء أخرى من علم الحياة . ولذلك فقد جاء هذا الكتاب أقرب إلى التحليل النفسي من كتاب « ما فوق مبدأ اللذة » . والأفكار التي يتضمنها هذا الكتاب تركيبية في طبيعتها أكثر مما هي خيالية ، وهي ترمي إلى هدف يبدو أنه هدف عظيم . وإني لأعلم مع ذلك أن هذه الأفكار لا تذهب إلى أبعد من الخطوط العامة . وإني لراض كل الرضى بمعرفة أوجه النقص في هذه الأفكار من هذه الناحية .

وتتناول هذه الأفكار في نفس الوقت أموراً لم تتناولها حتى الآن أبحاث التحليل النفسي . ولا تستطيع هذه الأفكار أن تمتنع عن التعرض إلى عدد من النظريات التي يقول بها أشخاص من غير المحللين النفسيين ،

---

(١) "Beyond the Pleasure Principle", London, 1922; translated from "Jenseits des Lustprinzips", Vienna, 1920.

أو من بين المحللين النفسيين السابقين بعد أن ارتدوا عن التحليل النفسي . وإني في العادة على استعداد دائماً للاعتراف بما أدين به للباحثين الآخرين. ولكني لا أشعر في هذا الكتاب بأن عليّ واجبات من هذا النوع . وإذا كانت هناك بعض الأمور التي لم يُعنَ بها التحليل النفسي حتى الآن العناية الكافية فليس ذلك لأنه أغفل نتائجها ، أو أراد أن ينكر أهميتها ، وإنما لأنه قد سلك طريقاً معيناً ولم يقطع فيه بعد شوطاً بعيداً . أما وقد وصلنا أخيراً إلى هذه الأمور فإننا نراها تبدو إلى التحليل النفسي في صورة تختلف عن الصورة التي تبدو فيها إلى الآخرين .

سيجمند فرويد

الفصل الأول

الشعور واللاشعور

ليس لدينا شيء جديد نقوله في هذا الفصل الافتتاحي . وليس من الممكن أن نتجنب تكرار ما سبق أن قلناه كثيراً من قبل .

إن تقسيم الحياة النفسية إلى ما هو شعوري[1] وما هو لاشعوري[2] هو الفرض الأساسي الذي يقوم عليه التحليل النفسي . وهذا التقسيم وحده هو الذي يجعل من الممكن للتحليل النفسي أن يفهم العمليات المرضية في الحياة العقلية – وهي أمور شائعة كما أنها هامة – وأن يجد لها مكاناً في إطار العلم . وبعبارة أخرى ، إن التحليل النفسي لا يمكنه أن يقبل الرأي الذي يذهب إلى أن الشعور هو أساس الحياة النفسية ، وإنما هو مضطر إلى اعتبار الشعور كخاصية واحدة للحياة النفسية ، وقد توجد هذه الخاصية مع الخصائص الأخرى للحياة النفسية أو قد لا توجد .

وإذا سمحت لنفسي بأن أفترض كل من يهتم بعلم النفس سيقرأ هذا الكتاب ، فيجب أن أكون مع ذلك مستعداً لأن أجد بعض هؤلاء يتوقفون حتى عند هذه النقطة ولن يذهبوا إلى أبعد من ذلك ، لأننا هنا أمام أول اختبار للتحليل النفسي . ويرى معظم الناس الذين تعلموا

---

(١) Conscious

(٢) Unconscious

شيئاً من الفلسفة أن فكرة وجود أي شيء نفسي دون أن يكون شعورياً أيضاً إنما هي فكرة لا يمكن تصورها على الإطلاق ، بل إنها تبدو لهم أمراً محالاً وغير مقبول أصلاً من الناحية المنطقية . وإني أعتقد أن ذلك يرجع فقط إلى أنهم لم يدرسوا مطلقاً الظواهر المناسبة الخاصة بالتنويم المغناطيسي والأحلام ، وهي ظواهر تستوجب هذه النتيجة ، بصرف النظر عن دلالتها المرضية . وهكذا نرى أن علم النفس الذي يقتصر على دراسة الشعور لا يستطيع حل مشكلتي الأحلام والتنويم المغناطيسي .

ولفظ « شعوري » ، من جهة أولى ، إنما هو لفظ وصفي بحت يعتمد على إدراك حسي ذي طابع مباشر ويقيني جداً . وتبين الخبرة ، من جهة ثانية ، أن العنصر النفسي (كالفكرة مثلاً) لا يكون شعورياً دائماً . بل تمتاز حالة الشعور ، على العكس ، بأنها تستمر لفترة قصيرة جداً . فالفكرة التي تكون شعورية الآن لا تظل شعورية في اللحظة التالية ، مع أنها تستطيع أن تصبح شعورية مرة ثانية تحت شروط معينة من السهل توفرها . أما عن حالة الفكرة في الفترة الواقعة بين هاتين الحالتين فلسنا نعرف شيئاً . ونستطيع أن نقول إن الفكرة كانت « كامنة » ، ونعني بذلك أنها « تستطيع أن تصبح شعورية » في أي وقت . وإذا قلنا إنها كانت « لاشعورية » فإن وصفنا يكون أيضاً صحيحاً . فقولنا « لاشعوري » بهذا المعنى إنما يعادل قولنا « كامن ويستطيع أن يصبح شعورياً » . إن الفلاسفة بلا شك سوف يعترضون قائلين : « لا ، إن لفظ « اللاشعوري » لا ينطبق هنا . فما دامت الفكرة في حالة كمون فهي ليست عنصراً نفسياً على الإطلاق » . ومناقضتنا لهم في هذه النقطة لن تفيدنا شيئاً أكثر من إثارة حرب لفظية .

ولكننا توصلنا فقط إلى لفظ أو مفهوم « اللاشعور » عن طريق آخر ، وذلك بتوجيه عنايتنا إلى بعض الخبرات التي يظهر فيها أثر « الدينامية »

العقلية[1] . لقد وجدنا ، أو بمعنى آخر ، لقد اضطررنا لأن نفترض وجود عمليات عقلية أو أفكار قوية جداً (وهنا يظهر عامل كمي أو « اقتصادي[2] » لأول مرة) تستطيع أن تحدث في العقل جميع الآثار التي تحدثها الأفكار العادية (بما في ذلك الآثار التي تستطيع بدورها أن تصبح شعورية في صورة أفكار) بالرغم من أنها لا تصبح هي نفسها شعورية . وليس من الضروري هنا أن نكرر بالتفصيل ما سبق أن شرحناه من قبل كثيراً جداً ، ولكننا نحتاج فقط أن نقول إن هذه هي النقطة التي تتدخل عندها نظرية التحليل النفسي وتؤكد أن السبب في أن مثل هذه الأفكار لا يمكنها أن تصبح شعورية هو أن هناك قوى معينة تقاومها ، ولولا ذلك لكان في إمكانها أن تصبح شعورية ، ولرأينا حينئذ كيف أنها لا تختلف عن العناصر الأخرى التي يعترف الجميع بأنها نفسية . وهناك حقيقة تجعل هذه النظرية غير قابلة للرفض وهي أننا وجدنا في التحليل النفسي وسيلة يمكن بها إزالة القوة المقاومة وجعل الأفكار المقاومة شعورية . ونحن نسمي الحالة التي تكون فيها الأفكار قبل أن تصبح شعورية « بالكبت »[3] ، ونذهب إلى أن القوة التي سببّت

(١) [Mental dynamics . تعني الدينامية في التحليل النفسي التفاعل بين القوى والدوافع المختلفة في الإنسان وما ينتج عن ذلك من تأثير في السلوك . ويرى التحليل النفسي أن سلوك الإنسان في أي وقت من الأوقات يكون مدفوعاً بدوافع معينة . وتكون هذه الدوافع في الأغلب لا شعورية] . (المترجم) .

(٢) [يدرس فرويد الظواهر النفسية من نواح ثلاث : الناحية الأولى هي الناحية الدينامية ، أي دراسة الدوافع الغريزية والقوى الدافعة للظواهر النفسية . والناحية الثانية هي الناحية الطوبوغرافية أو المكانية ، أي تحديد مراكز الظواهر النفسية في الجهاز النفسي . والناحية الثالثة هي الناحية الاقتصادية أو الكمية ، أي دراسة القوانين والشروط التي تحدد نشوء الطاقة النفسية وتوزيعها واستهلاكها] . (المترجم) .

(٣) Repression

الكبت وعملت على استمراره إنما تظهر لنا أثناء التحليل في صورة « مقاومة »[1] .

إننا نستمد إذن مفهومنا عن اللاشعور من نظرية الكبت . ونعتبر المكبوت كنموذج للاشعور . ونحن نرى مع ذلك أنه يوجد نوعان من اللاشعور – اللاشعور الذي يكون كامناً ولكنه يستطيع أن يصبح شعورياً ، واللاشعور المكبوت الذي لا يستطيع بذاته وبدون كثير من العناء أن يصبح شعورياً . وهذا القدر من الاستبصار في الديناميات النفسية لا بد أن يترك أثراً في مصطلحاتنا وفي وصفنا . فما هو كامن ولا شعوري فقط بالمعنى الوصفي وليس بالمعنى الـديناميـي[2] فإننا نسميه « قبلشعـورياً[3] » . أما لفظ اللاشعور فإنا نبقيه للمكبوت اللاشعوري بالمعنى الـديناميـي . فعندنا الآن إذن ثلاثة ألفاظ : الشعور ، وما قبل الشعور ، واللاشعور . ولم تعد هذه الألفاظ وصفية بحتة في معناها . ومن المفروض أن الشعور أقرب جداً إلى ما قبل الشعور منه إلى الشعور . وبما أننا سمينا اللاشعور نفسياً ، فإننا بدون أدنى تردد سنسمي ما قبل الشعور الكامن نفسياً أيضاً . ولكن لماذا لم نفضّل ، بدلاً من ذلك ، أن نظل متفقين مع الفلاسفة فنميز دائماً في الكيفية النفسية بين ما هو قبلشعوري ولاشعوري من جهة ، وما هو شعوري من جهة أخرى ؟ قد يرى الفلاسفة أنه يجب أن نصف كلاً من القبلشعوري واللاشعوري على اعتبار أنهما نوعان أو مستويان من النشاط النفسي ، وبذلك يزول التناقض . ولكن ستنشأ عن ذلك صعوبات في

---

(١) Resistance

(٢) [ما هو لاشعوري بالمعنى الوصفي وليس بالمعنى الـديناميي هو الشيء الكامن قبل الشعور والذي يستطيع أن يظهر بسهولة في الشعور إذا توفرت شروط معينة . أما ما هو لاشعوري بالمعنى الـديناميي فهو الشيء المكبوت الذي يجد مقاومة تمنعه من الظهور في الشعور] . (المترجم) .

(٣) Preconscious

العرض لا حصر لها . ثم إن هذه الحقيقة الهامة وهي أن هذين النوعين من النشاط النفسي كما وصفناهما سابقاً متفقان في كل ناحية تقريباً مع ما هو معروف بأنه نفسي إنما سيكون نصيبها الإغفال بسبب ذلك التعصب الذي يرجع تاريخه إلى زمن لم يكن يعرف فيه بعد شيء عن هذين النوعين من النشاط النفسي ، أو عن الجزء الأهم منهما .

ونستطيع الآن أن نبدأ باطمئنان في استعمال هذه الألفاظ الثلاثة ، الشعور وما قبل الشعور واللاشعور ، ما دمنا لا ننسى أنه يوجد من الناحية الوصفية نوعان من اللاشعور [١]. أما من الناحية الدينامية فلا يوجد إلا لاشعور واحد فقط [٢] . ومن الممكن إغفال هذه التفرقة في كثير من الحالات لأسباب تتعلق بعرض الموضوع ، أما في بعض الحالات الأخرى فإن هذه التفرقة تصبح ضرورية بالطبع . ولقد أصبحنا في نفس الوقت معتادين على نحو ما على هذين المعنيين للفظ اللاشعور ، ولم نجد أية مشقة في استعمالهما . وإني أرى أنه من المحال تجنب هذا الغموض . فالتمييز بين الشعور واللاشعور إنما هو في آخر الأمر مسألة إدراك حسي يجب إمّا أن يثبت وإما أن ينفى . وعملية الإدراك الحسي نفسها لا تقول لنا شيئاً عن سبب إدراك الشيء أو عدم إدراكه ، وليس لأحد الحق في أن يشتكي لأن الظاهرة التي نشاهدها لا تعبر بوضوح عن العوامل الدينامية الداخلية [٣] .

---

(١) [هما ما قبل الشعور واللاشعور المكبوت] . (المترجم) .

(٢) [هو اللاشعور المكبوت] . (المترجم) .

(٣) يمكن مقارنة هذا بمقالي « مذكرة عن اللاشعور في التحليل النفسي » (١٩١٢) المنشور في (مجموعة المقالات) الجزء الرابع . ويجدر بي في هذه النقطة أن أشير إلى اتجاه جديد اتخذته بعض الانتقادات التي وجهت إلى اللاشعور . فإن بعض الباحثين الذين لا يرفضون الاعتراف بحقائق التحليل النفسي والذين لا يريدون في الوقت نفسه قبول فكرة اللاشعور ، قد وجدوا مخرجاً من هذه الصعوبة في هذه الحقيقة التي لا ينازع فيها أحد وهي أنه من الممكن =

وقد ثبت لنا حينما تقدّم البحث في التحليل النفسي أن هذه الفروق

= أن نميز في الشعور (باعتباره ظاهرة) عدة درجات مختلفة من الشدة أو الوضوح . فكما أن هناك أفكاراً تظهر في الشعور في غاية القوة والشدة والوضوح ، فكذلك توجد بعض الأفكار الأخرى التي يكون ظهورها في الشعور ضعيفاً جداً والتي لا نكاد نلاحظ أنها في الشعور . ويذهب النقاد إلى أن تلك الأفكار التي يكون شعورنا بها ضعيفاً جداً إنما هي الأفكار التي يريد التحليل النفسي أن يطلق عليها ذلك الاسم غير المناسب وهو « اللاشعور » . وهم يذهبون إلى أن هذه الأفكار شعورية أيضاً أو « موجودة في الشعور » مثل الأفكار الأخرى تماماً ، وأنه من الممكن أن نجعلها تظهر في الشعور في غاية الوضوح والشدة إذا ما وجهنا إليها الانتباه الكافي .

وإذا كان من الممكن أن نصل بالجدل إلى حل لمثل هذه المشكلة التي يتوقف حلها على الاتفاق أو على عوامل انفعالية ، فإننا نستطيع أن نبدي التعليقات التالية . ليست الإشارة إلى درجات الوضوح في الشعور بالأمر المقنع ، وليس لها من القيمة البرهانية أكثر مما لمثل هذه القضايا المماثلة : « توجد درجات كثيرة جداً للضوء -- من الضوء الناصع جداً والمبهر للأبصار إلى الضوء الخافت الضعيف جداً -- ويمكن أن نستنتج من ذلك أنه لا وجود للظلام على الإطلاق » . أو « توجد درجات مختلفة للحياة ، وينتج عن ذلك أنه لا وجود لشيء اسمه الموت » . وقد يكون لمثل هذه القضايا معنى من ناحية معينة ، ولكنها عديمة القيمة من الناحية العملية . ويظهر ذلك إذا أراد أحد أن يستنتج منها بعض النتائج مثل « إذن ، ليس من الضروري أن نشعل ضوءاً » أو « إذن . جميع الكائنات الحية خالدة » . ثم إن في وضع « ما هو غير ملحوظ » تحت فكرة « ما هو شعوري » قضاء على كل ما عندنا من معرفة مباشرة يقينية عن العقل . وفضلاً عن ذلك فإن الشعور الذي لا يعرف أحد عنه شيئاً ليبدو لي أمراً أكثر استحالة من العقل اللاشعوري . وأخيراً فإن هذه المحاولة التي ترمي إلى مساواة ما هو غير ملحوظ بما هو لاشعوري إنما قامت من غير شك بدون التفات إلى الشروط الدينامية المتعلقة بالموضوع وهي العوامل الحاسمة في تكوين الرأي الذي يذهب إليه التحليل النفسي . ذلك لأنها تغفل حقيقتين : الحقيقة الأولى هي أن تركيز الانتباه في شيء غير ملحوظ من هذا النوع إنما هو أمر في غاية الصعوبة ويتطلب مجهوداً عظيماً جداً . والحقيقة الثانية هي أنه إذا تم ذلك لما اعترف الشعور بالفكرة التي كانت من قبل غير ملحوظة ، بل إنها غالباً ما تبدو له غريبة جداً ومخالفة له فيقوم بإنكارها في الحال . فتجنب اللاشعور بهذه الطريقة والالتجاء إلى ما هو ملحوظ بدرجة ضعيفة جداً أو ما هو غير ملحوظ ، إنما يدل على الاعتقاد القديم الذي يعتبر أن وحدة النفسي والشعوري قد أصبحت أمراً محققاً بصفة نهائية .

أيضاً لم تكن مناسبة كما أنها لم تكن كافية من الناحية العملية . اتضح لنا ذلك من وجوه عدة ، غير أن أوضح هذه الوجوه هو ما يأتي . لقد ذهبنا إلى أنه توجد في كل فرد منظمة دقيقة للعمليات العقلية سميناها « الأنا »[١] . ويشمل هذا الأنا الشعور ، كما أنه يشرف على وسائل الحركة ، أي تفريغ التهيجات في العالم الخارجي . وهو المنظمة العقلية التي تشرف على جميع العمليات العقلية ، وهي التي تنام بالليل ولكنها مع ذلك تستمر تقوم بالرقابة على الأحلام . وعن هذا الأنا أيضاً يصدر الكبت الذي تمنع به بعض نزعات العقل لا من الظهور في الشعور فحسب ، بل تمنع أيضاً من الظهور في سائر صور الظهور والنشاط الأخرى . وتظهر هذه النزعات المكبوتة أثناء التحليل متعارضة مع الأنا ، ويصبح من مهمة التحليل إزالة المقاومات التي يبذلها الأنا حتى لا يجابه هذه النزعات المكبوتة . ونحن نرى الآن أن المريض يجد كثيراً من المشقة حينما نجابهه ببعض المهام أثناء التحليل ، كما نرى تداعي أفكاره يتوقف كلما اقترب من الأشياء المكبوتة . ونقول له حينئذ إن هناك مقاومة متغلبة عليه ، ولكنه يكون غير متنبه للأمر إطلاقاً . وحتى إذا ابتدأ يدرك مما يشعر به من ضيق أن هناك نوعاً من المقاومة متغلبة عليه فإنه لا يعرف ما هي ، ولا كيف يصفها . وبما أن هذه المقاومة بدون أدنى شك تصدر عن أناه وتنسب إليه ، فإننا نجد أنفسنا في موقف لم نكن نتوقعه . فلقد وجدنا في الأنا ذاته شيئاً لاشعورياً أيضاً ، وهو يتصرف تماماً كالشيء المكبوت ، أي كشيء يحدث آثاراً بالغة بدون أن يكون هو نفسه ظاهراً في الشعور ، وهو يحتاج إلى مجهود خاص قبل أن يستطيع الظهور في الشعور . والنتيجة التي نصل إليها من هذه الملاحظة فيما يتعلق بممارسة التحليل النفسي هي أننا نجد أنفسنا في

---

(١) Ego

ارتباك وصعوبة لا حد لهما فيما إذا تمسكنا برأينا السابق وحاولنا مثلاً أن نستنتج الأمراض العصابية من الصراع الذي ينشب بين الشعور واللاشعور. ويصبح من الواجب علينا أن نستبدل بهذا التقابل تقابلاً آخراً مستمداً من تبصرنا في شروط تركيب العقل، أعني ذلك التقابل بين الأنا المنظم وبين ما هو مكبوت ومنفصل عن الأنا[1].

إن نتائج ملاحظتنا الجديدة لأكثر أهمية بالنسبة إلى نظريتنا في اللاشعور. وقد دفعتنا بعض الاعتبارات الديناميية إلى القيام بالتصحيح الأول[2]. كما أن تبصرنا في تركيب العقل يؤدي بنا إلى القيام بالتصحيح الثاني. إننا ندرك أن اللاشعور لا يتطابق مع المكبوت. ولا يزال صحيحاً أن كل ما هو مكبوت لاشعوري. ولكن ليس كل ما هو لاشعوري مكبوتاً. فإن جزءاً من الأنا أيضاً - والله وحده يعلم مقدار أهمية هذا الجزء - قد يكون لاشعورياً، بل هو لاشعوري من غير شك. وليس هذا اللاشعور المتعلق بالأنا كامنا مثل ما قبل الشعور، لأنه لو كان كذلك لما استطاع أن ينشط بدون أن يصبح شعورياً، ولتمت عملية جعله شعورياً بدون أن تلاقي مثل هذه المشقة العظيمة. وعندما نجد أنفسنا مضطرين هكذا إلى إفتراض لاشعور ثالث لا يكون مكبوتاً، فمن الواجب أن نعترف بأن خاصية اللاشعور أخذت تفقد ما لها من أهمية عندنا. إنها تصبح كيفية تستطيع أن تتضمن معاني كثيرة، وبذلك لا نستطيع أن نجعلها أساساً لنتائجنا الهامة الضرورية كما كنا نتمنى. ومع ذلك فيجب أن نحذر من إغفال هذه الخاصية، ذلك لأن كيفية الشعور أو اللاشعور إنما هي في آخر الأمر شعاع الضوء الوحيد الذي ينفذ إلى ظلام سيكولوجيه الأعماق.

---

(١) انظر « ما فوق مبدأ اللذة » "Beyond the Pleasure Principle"

(٢) [هو التعديل الذي أشار إليه في نهاية الفقرة السابقة]. (المترجم).

الفصل الثاني

الأنا والهو

دفعتنا أبحاثنا في علم الأمراض إلى تركيز كل اهتمامنا على ما هو مكبوت . ونود الآن أن نعرف شيئاً أكثر عن الأنا بعد أن علمنا أنه يستطيع أيضاً أن يكون لاشعورياً بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة . وقد كان الدليل الوحيد الذي نهتدي به حتى الآن في أبحاثنا هو ذلك الفارق المميز بين ما هو شعوري وما هو لاشعوري . وقد رأينا أخيراً لماذا يمكن أن يكون ذلك غامضاً .

والآن قد أصبحت معرفتنا كلها بدون استثناء مرتبطة بالشعور . وحتى معرفتنا باللاشعور فليس من الممكن أن تتم إلا بجعله شعورياً . ولكن رويدك ، كيف يمكن ذلك ؟ ما هو معنى قولنا « بجعله شعورياً ؟ » . وكيف يمكن أن يحدث ذلك ؟ .

إننا نعرف من قبل النقطة التي يجب أن نبدأ منها في هذا الصدد . لقد سبق أن قلنا إن الشعور هو « سطح » الجهاز العقلي . و بمعنى آخر ، لقد جعلناه وظيفة لجهاز هو من الناحية المكانية أول ما يتصل به العالم الخارجي . ونقول من الناحية المكانية ليس فقط بالمعنى الوظيفي ، ولكن أيضاً ، بهذه المناسبة ، بمعنى ما وصل إليه البحث التشريحي (١) . فمن الواجب أن نبدأ أبحاثنا أيضاً بهذا السطح الخارجي الذي يقوم بالإدراك الحسي .

---

(١) « ما فوق مبدأ اللذة » .

وجميع الإدراكات التي تصلنا من الخارج (الإدراكات الحسية) ومن الداخل – وهي ما نسميها الإحساسات [1] والمشاعر الوجدانية [2] – إنما هي شعورية من البداية . ولكن ما هو شأن تلك العمليات الداخلية التي قد نطلق عليها جميعاً – في شيء من الغموض وعدم الدقة – اسم العمليات الفكرية ؟ إنها عبارة عن عمليات بديلة [3] للطاقة العقلية تمت في مكان ما في داخل الجهاز أثناء اتجاه هذه الطاقة نحو الحركة .

ولسنا ندري هل تقرب هذه العمليات الفكرية من سطح الجهاز الذي يسمح حينئذ بحدوث الشعور ، أم أن الشعور هو الذي ينتقل إليها ؟ وهذه بلا شك إحدى الصعوبات التي تنشأ عندما يبدأ الإنسان يأخذ النظرية المكانية أو الطوبوغرافية للحياة العقلية بصورة جدية . وكلا هذين الاحتمالين أمر لا يمكن تخيله ، ولا بد أن يكون هناك احتمال ثالث لهذه الحالة .

---

(١) Sensations

(٢) Feelings

(٣) [Displacements . النقل أو الإبدال اصطلاح يستعمل في التحليل النفسي ويقصد به تحول الانفعالات (أو الطاقة النفسية) عن المعاني أو الموضوعات التي كانت متصلة بها في الأصل ، ثم ارتباطها بمعان أو بموضوعات أخرى توصف عادة بأنها « بديلة » ، لأنها حلت محل المعاني أو الموضوعات الأصلية .

والنقل عملية سيكولوجية تلجأ إليها الطاقة النفسية لتتجنب ما تجده عادة من مقاومة وكبت ، لتستطيع بذلك أن تعبر عن نفسها وأن تنفذ إلى الشعور . فإذا لاقت بعض المعاني مقاومة مستمرة تمنعها من الظهور في الشعور ، لجأت الطاقة النفسية المتصلة بهذه المعاني إلى النقل ، أي أنها تلجأ إلى الاتصال بمعان أخرى بديلة تكون عادة رموزاً للمعاني الأصلية . ولما كانت هذه الرموز في العادة مبهمة غير صريحة فهي لا تجد مقاومة تذكر ، وبذلك تستطيع الطاقة النفسية النفاذ إلى الشعور] . (المترجم) .

لقد سبق أن اقترحت في مكان آخر[١] أن الفرق الحقيقي بين المعنى (أو الفكرة) اللاشعوري والمعنى القبلشعوري إنما يتلخص في أن المعنى الأول إنما ينشأ عن مادة تظل غير معروفة ، بينما يكون المعنى الثاني (القبلشعوري) بالإضافة إلى ذلك مرتبطاً ببعض الصور اللفظية . وهذه هي المحاولة الأولى لإيجاد فارق مميز بين هاتين المنظمتين ، ما قبل الشعور واللاشعور ، وذلك فيما عدا علاقتهما بالشعور[٢]. ويبدو إذن أن هذا السؤال «كيف يصبح المعنى شعورياً ؟» يمكن أن يوضع بطريقة أحسن على هذه الصورة : «كيف يصبح المعنى قبلشعورياً ؟» ويصبح الجواب هو : «بأن يرتبط بالصور اللفظية المطابقة له» .

وهذه الصور اللفظية هي الآثار الباقية في الذاكرة ، وقد كانت في وقت ما إدراكات حسية ، وهي تستطيع مثل جميع الآثار الباقية في الذاكرة أن تصبح شعورية مرة أخرى . وقبل أن نشغل انفسنا بطبيعتها أكثر من ذلك تتضح لنا فكرة تبدو كأنها اكتشاف جديد ، وهي أن ذلك الشيء الذي كان إدراكاً حسياً شعورياً هو وحده الذي يستطيع أن يصبح شعورياً ، وأن أي شيء يأتي من الداخل (فيما عدا المشاعر الوجدانية) ويحاول أن يصبح شعورياً فإنما يجب عليه أن يحاول تحويل نفسه إلى إدراكات حسية خارجية : ومن الممكن أن يحدث ذلك عن طريق الآثار الباقية في الذاكرة .

وإننا نتصور الآثار الباقية في الذاكرة كأنها محفوظة في أجهزة تكون مجاورة لجهاز «الإدراك الحسي ـ الشعور» مباشرة ، وبذلك تستطيع

(١) «اللاشعور ، (١٩١٥) ، مجموعة المقالات ، الجزء الرابع» .

(٢) [يوجد فرق بين ما قبل الشعور واللاشعور من حيث علاقتهما بالشعور . فالفكرة الموجودة قبل الشعور تكون قريبة من الشعور ويمكنها أن تصبح شعورية بسهولة . أما الفكرة الموجودة في اللاشعور فبعيدة عن الشعور وهي لا تصبح شعورية إلا بعد مجهود شاق] . (المترجم) .

الشحنات النفسية المتعلقة بهذه الآثار أن تمتد بسهولة نحو العناصر الموجودة بجهاز الإدراك الحسي والشعور . وإنا نتذكر هنا في الحال الهلاوس [١] ، كما نتذكر أيضاً أن أكثر الذكريات قوة تكون دائماً متميزة عن كل من الهلوسة والإدراك الحسي الخارجي . ولكننا نتذكر أيضاً أنه عندما تعود إحدى الذكريات فإن الشحنة النفسية تظل باقية في جهاز الذاكرة ، أما الهلوسة التي لا تكون متميزة عن الإدراك الحسي ، فهي لا تحدث بمجرد امتداد الشحنة النفسية من الأثر الباقي في الذاكرة نحو عنصر الإدراك الحسي فقط ، وإنما بالانتقال إليه كلية .

وتستمد الآثار اللفظية أولاً من الإدراكات الحسية السمعية ، ولذلك كان لجهاز ما قبل الشعور مصدر حسي خاص . أما العناصر البصرية من الصور اللفظية فهي شيء ثانوي ، وهي تكتسب عن طريق القراءة ، ومن الممكن أن تترك جانباً منذ ابتداء الأمر . وكذلك قد تلعب الصور الذهنية الحركية للكلمات دوراً ثانوياً إلا في حالة الصم البكم . فأساس الكلمة هو ، فوق كل شيء ، الأثر الذي يبقى في الذاكرة عن الكلمة التي تسمع .

ولا يجب أن تدفعنا الرغبة في التبسيط إلى نسيان أهمية الآثار البصرية الموجودة في الذاكرة – آثار « الأشياء » (في مقابل « الكلمات ») – أو إلى إنكار إمكان ظهور العمليات الفكرية في الشعور عن طريق رجوعها إلى الآثار البصرية ، أو إنكار أن هذه هي الطريقة التي يفضلها كثير من الناس فيما يبدو . وتعطينا دراسة الأحلام والخيالات القبلشعورية طبقاً لملاحظات ج . فاريندونك J. Varendonck فكرة عن الطابع الخاص بالتفكير البصري . إننا نعلم أن ما يظهر في الشعور أثناءه إنما هو في العادة مادة التفكير فقط ، أما العلاقات التي بين العناصر المختلفة

---

(١) [Hallucinations] الهلوسة هي الإدراك الحسي الوهمي لشيء خارجي غير موجود في الواقع] . (المترجم) .

لهذه المادة ، وهي ما يميز التفكير بصفة خاصة ، فلا تستطيع أن تظهر في صور بصرية . فالتفكير بصور بصرية إذن إنما هو عبارة فقط عن الشعور بشكل ناقص جداً . وهو أيضاً ، على نحو ما ، أكثر قرباً إلى العمليات اللاشعورية من التفكير بالألفاظ ، وهو من غير شك أقدم منه سواء من ناحية نشوء الفرد[1] أو نشوء النوع[2] .

ولنعد الآن إلى موضوع مناقشتنا . فإذا كان هذا إذن هو الطريقة التي يستطيع بها ما هو في ذاته لاشعوري أن يصبح قبلشعورياً ، فإنه يمكننا أن نجيب بما يأتي على من يسأل كيف يستطيع ما هو مكبوت أن يصبح قبلشعورياً . يمكن أن يحدث ذلك بمد ما هو مكبوت أثناء التحليل ببعض الروابط القبلشعورية المتوسطة . وعلى ذلك فإن الشعور يظل باقياً في موضعه ، أما اللاشعور ، من جهة أخرى ، فلا يظهر في الشعور[3] .

إن العلاقة بين الإدراكات الحسية «الخارجية» وبين الأنا واضحة جداً ، أما العلاقة بين الإدراكات الحسية «الداخلية» وبين الأنا فتتطلب دراسة خاصة وقد يثير ذلك فينا مرة أخرى شيئاً من الشك فيما إذا كنا محقين فعلاً في إرجاعنا جميع الشعور إلى ذلك الجهاز السطحي وحده وهو جهاز «الإدراك الحسي ـ الشعور» .

وتمدنا الإدراكات الحسية الداخلية بالإحساسات الخاصة بالعمليات التي تجري في أكثر طبقات الجهاز العقلي تبايناً ، وهي أيضاً بلا ريب أكثرها عمقاً . ولسنا نعرف عن هذه الإحساسات والمشاعر الوجدانية إلا الشيء القليل جداً . ولا تزال الإحساسات والمشاعر الوجدانية المتعلقة بسلسلة اللذة والألم هي أحسن ما عندنا من أمثلة عنها . فهي أكثر أساسية وأكثر

---

(١) Ontogenetically

(٢) Phylogenetically

(٣) [إن الشيء المكبوت في اللاشعور لا يظهر في الشعور مباشرة ، ولكنه يظهر في الشعور عن طريق اتصاله بالصور اللفظية الموجودة قبل الشعور] . (المترجم) .

أولية من الإدراكات الحسية الخارجية ، كما أنها تستطيع أن تنشأ حتى في الحالات التي يكون الشعور فيها غامضاً . ولقد سبق أن بينت في مواضع أخرى آرائي فيما يتعلق بأهميتها الكبيرة من الناحية الإقتصادية ، وفيما يتعلق بالأسباب الميتاسيكولوجية[1] لذلك .
وهذه الإحساسات كثيرة التنوع مثل الإدراكات الحسية الخارجية ، فقد تصدر عن مواضع مختلفة في وقت واحد ، وقد تكون لها لهذا السبب كيفيات مختلفة ، وربما تكون لها كيفيات متضادة أيضاً .

لا تتميز الإحساسات اللذيذة بأية كيفية نزوعية فطرية ، بينما توجد هذه الكيفية في الإحساسات المؤلمة بدرجة كبيرة . فالإحساسات المؤلمة تنزع نحو التغيير ونحو التفريغ ، وهذا هو السبب الذي من أجله نفسر « الألم » على أنه يتضمن ازدياد شحنة الطاقة النفسية ، ونفسر « اللذة » على أنها تتضمن خفضها . ولنفرض أننا نصف ما نشعر به على هيئة لذة أو ألم بأنه عنصر عقلي كميّ أو كيفي غير محدّد . إن المشكلة حينئذ تصبح هل يمكن أن يصبح هذا العنصر شعورياً في المكان الذي يوجد فيه بالفعل ، أم هل يجب أن ينتقل أولاً إلى جهاز الإدراك الحسي ؟

تدل الخبرة الإكلينيكية على صحة الرأي الثاني . فهي تبين لنا أن هذا العنصر غير المحدد يتصرف كما يتصرف الدافع المكبوت . فهو يستطيع أن يبدي قوة دافعة بدون أن يلاحظ الأنا ما في ذلك من إلزام . ولا يصبح هذا العنصر غير المحدد واضحاً في الشعور على هيئة « ألم »

(١) [الميتاسيكولوجي Metapsychology (أي ما بعد علم النفس) هو دراسة الظواهر النفسية دراسة فلسفية نظرية لا يمكن التحقق من صحتها بالملاحظة المباشرة أو بالتجربة العلمية . ويطلق فرويد لفظ الميتاسيكولوجي على دراسته للظواهر النفسية من نواح ثلاث هي : الناحية الدينامية ، والناحية الطوبوغرافية أو المكانية ، والناحية الاقتصادية أو الكمية . انظر تعليقنا بالهامش رقم ٢ ص ٢٧] . (المترجم) .

إلا إذا نشأت مقاومة ضد هذا الإلزام ، وحدثت عوائق ضد التفريغ . وكما يمكن أن تظل التوترات التي تنشأ عن الحاجة البدنية لاشعورية ، فكذلك الألم ـ وهو شيء متوسط بين الإدراك الحسي الخارجي وبين الإدراك الحسي الداخلي ، وهو يتصرف كأنه إدراك حسي داخـلي ، حتـى ولو كان صادراً عن العالم الخارجي . وعلى ذلك فلا يزال من الصحيح أيضاً ان الإحساسات والمشاعر الوجدانية إنما تظهر فقط في الشعـور حينما تصل إلى جهاز الإدراك الحسي . فإذا أعيق وصولها إليه لم تصبح إحساسات ، هذا بالرغم من أن العنصر غير المحدد المقابل لها يكون واحداً سواء في هذه الحالة أو في حالة وجود الإحساسات . ونحن نتكلم حينئذ – بطريقة مركزة وغير صحيحة كل الصحة – عن « مشاعـر وجدانية لاشعورية »، وذلك تشبيهاً لها بالأفكار اللاشعورية ، وهو تشبيه لا مبرر له على الإطلاق . ويتلخص الفرق في الحقيقة في أنه في حالة « الأفكار اللاشعورية » لا بد من إيجاد حلقات الربط أولاً قبل أن تتمكن من الظهور في الشعور ، أما في حالة « المشاعر الوجدانية » التي يمكـن أن تنفذ إلى الشعور مباشرة فلا ضرورة لذلك . وبمعنى آخر ، إن الفرق بين شعوري وقبلشعوري لا يصبـح له معنـى فيما يتعلـق بالمشـاعـر الوجدانية . فلا وجود لما قبل الشعور في هذه الحالة ، إذ أن المشـاعـر الوجدانية إما أن تكون شعورية وإما أن تكون لاشعورية . وحتى لـو اتصلت المشـاعـر الوجدانية بالصور اللفظية فإن ظهورها في الشعور لا يتوقف على هذا الأمر ، وإنما هي تستطيع أن تظهر في الشعور مباشرة .

لقد أصبح الدور الذي تلعبه الصور اللفظية الآن واضحاً جداً ، فبوساطتها تتحول العمليات الفكرية الداخلية إلى إدراكات حسية . ويشبه أن يكون ذلك برهاناً على النظرية التي تذهب إلى أن مصدر جميع المعرفة هو الإدراكات الحسية الخارجية . ويحدث في بعض الأحيان أن تزداد شدة الشحنة النفسية الخاصة بعملية التفكير ، وفي هذه الحالة « تُدْرَك »

الأفكار « في الواقع » ـ كأنها آتية من الخارج ـ وهي تؤخذ تبعاً لذلك على أنها إدراكات حسية حقيقية[١].

وبعد هذا التوضيح للعلاقات الموجودة بين الإدراك الحسي الخارجي والداخلي ، وبين جهاز « الإدراك الحسي ـ الشعور » الخارجي ، فإننا نستطيع أن نبدأ في شرح فكرتنا عن الأنا . ينشأ الأنا بوضوح من ذلك الجزء الذي يكوّن نواته ألا وهو جهاز « الإدراك الحسي » ، ثم يبدأ في اشتمال ما قبل الشعور الذي يجاور الآثار الباقية في الذاكرة . ولكن الأنا كما علمنا لاشعوري أيضاً[٢] .

وأظن الآن أننا سنستفيد كثيراً جداً من اتباع ذلك الاقتراح الذي تقدم به كاتب جعلته بعض الدوافع الشخصية يؤكد تأكيداً لا طائل وراءه أنه لا يهتم إطلاقاً بدقة العلم البحت . إنني أتكلم عن جورج جرودك Georg Groddeck الذي لم يتعب من الإشارة دائماً إلى أن سلوك ما نسميه الأنا إنما هو في جميع مراحل الحياة سلوك سلبي في أساسه ، وأننا نعيش كما يقول مدفوعين بقوى غير معروفة ولا يمكن إخضاعها لسلطتنا[٣] . لقد مرت بنا جميعاً مثل هذه الانطباعات ولو أنها لم تطغ علينا دون سائر الانطباعات الأخرى . ولسنا في حاجة إلى أن نتردد في أن نجد لاكتشاف جرودك مكاناً في بناء العلم . وإني أرى أن نأخذ باقتراحه وأن نطلق اسم « الأنا » على ذلك الكيان الذي ينشأ عن جهاز الإدراك الحسي والذي يصبح ما قبل الشعور . كما أرى أن نحذو حذو

(١) [كما يحدث في حالات الهلوسة والهذاء] . (المترجم) .

(٢) [انظر ص ٣٠ - ٣٢] . (المترجم) .

(٣) G. Groddeck: "Das Buck Vom Es" . Vienna 1923.

جرودك بأن نطلق اسم « الهو[1] » على الجزء الآخر من العقل الذي يمتد إليه هذا الكيان والذي يتصرف كأنه لاشعوري .

وسنرى سريعاً ما إذا كانت هذه الفكرة ستزيد في فهمنا أو ستعيننا على الوصف . سننظر الآن إلى الفرد باعتبار أنه «هو» نفسي مجهول ولاشعوري ، ويوجد على سطحه « الأنا » الذي نما من نواته جهاز الإدراك الحسي . وإذا حاولنا أن نتصور ذلك مرسوماً لقلنا إن الأنا لا يحيط بجميع الهو ، ولكنه يحيط به فقط بالقدر الذي يسمح بتكوين جهاز الإدراك الحسي على سطحه . ويشبه ذلك تقريباً وجود الطبقة الجرثومية على البيضة . وليس الأنا منفصلاً عن الهو تمام الانفصال ، وإنما يندمج جزؤه الأسفل في الهو .

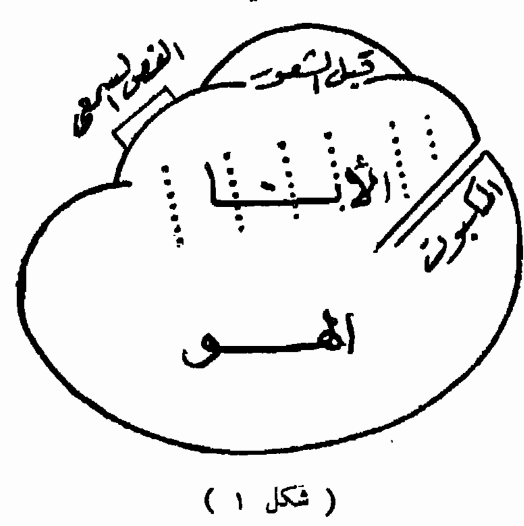
ولكن الشيء المكبوت مندمج أيضاً في الهو ، وهو في الحقيقة جزء منه . والمكبوت شيء قد فصلته عن الأنا المقاومة التي يبذلها الكبت ، وهو يستطيع أن يتصل بالأنا عن طريق الهو . وإنا لنستطيع أن ندرك في الحال أن جميع ما ذكرناه من أوصاف تقريباً نتيجة لدراستنا في علم الأمراض إنما يتعلق فقط بالمستويات السطحية للجهاز العقلي ، وهي المستويات الوحيدة التي نعرفها . ومن الممكن أن نوضح ما كنا نحاول وصفه في في شكل هندسي (شكل ١) .

---

(١) لا شك أن جرودك نفسه قد حذا حذو نيتشة الذي كان يطلق هذا اللفظ اللغوي على كل ما هو مجهول في طبيعتنا وخاضع للقانون الطبيعي على حد تعبيرنا .

[« الهو» Id هو ذلك القسم من النفس الذي يحوي كل ما هو موروث وما هو ثابت في تركيب البدن ، وما هو غريزي في الطبيعة الإنسانية . والهو لا يتبع منطقاً ولا أخلاقاً ولا يهتم بالواقع . إنه يهتم فقط بإشباع الدوافع الغريزية تبعاً لمقتضيات مبدأ اللذة . وكل شيء في الهو غامض ولاشعوري . انظر كتاب « معالم التحليل النفسي » لفرويد ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الخامسة ، الفصل الأول] . (المترجم) .

الإدراك الحسي ـ الشعور



(شكل ١)

ولكن يجب أن نشير إلى أننا لا ندعي أن هذا الشكل الذي اخترناه ينطبق على حقيقة الأمر انطباقاً صحيحاً ، وإنما قصدنا به فقط توضيح الفكرة . وقد نضيف إلى قولنا السابق إنه يوجد بالأنا أيضاً فص سمعي[١] ، وهو يوجد على أحد الجانبين فقط كما هو معروف من تشريح المخ . ويمكن أن نقول إنه يبدو على الأنا في وضع مائل .

ونستطيع أن نرى بسهولة أن الأنا هو ذلك القسم من الهو الذي تعدّل نتيجة تأثير العالم الخارجي فيه تأثيراً مباشراً بوساطة جهاز الإدراك الحسي ـ الشعور : أي أن الأنا هوعبارة عن امتداد لعملية تمايز[٢] السطح . وفضلاً عن ذلك فإن الأنا يقوم بنقل تأثير العالم الخارجي إلى الهو وما فيه من نزعات ، ويحاول أن يضع مبدأ الواقع محل مبدأ اللذة الذي يسيطر

---

(١) Auditory lobe

(٢) Differentiation

على الهو . ويلعب الإدراك الحسي في الأنا نفس الدور الذي تلعبه الغريزة في الهو . ويمثل الأنا ما نسميه الحكمة وسلامة العقل ، على خلاف الهو الذي يحوي الانفعالات . وكل ذلك يتفق مع ما هو معروف لنا جميعاً من فروق شائعة . ومع ذلك ، فلا يجب أن نعتبر ذلك صحيحاً إلا في الحالات المتوسطة أو « المثالية » .

وتتضح أهمية الوظيفة التي يقوم بها الأنا في توليه الإشراف عادة على منافذ الحركة ، وهو في علاقته بالهو مثل رجل على ظهر جواد يحاول أن يتغلب على قوة الجواد العظيمة . ويتلخص الفرق بين الحالتين في أن راكب الجواد يحاول أن يفعل ذلك بقوته الشخصية ، بينما يستعين الأنا في ذلك بقوى يستمدها من مصدر آخر . ومن الممكن أن نتتبع هذا المثال أكثر من ذلك فنقول إن راكب الجواد غالباً ما يضطر ، إذا كان حريصاً على ألا يفقد جواده ، إلى أن يقوده إلى حيث يريد الجواد أن يذهب . وكذلك يقوم الأنا بنفس الطريقة بتنفيذ رغبات الهو دائماً كأنها رغباته الخاصة .

ويبدو أنه يوجد إلى جانب تأثير جهاز الإدراك الحسي عامل آخر له دور في تكوين الأنا وتمايزه عن الهو . فمن بدن الشخص ذاته ، ومن سطح البدن على الأخص تنبعث الإدراكات الحسية الخارجية والداخلية . ويبدو البدن مثل سائر الأشياء الأخرى تماماً ، ولكنه إذا «لمس» صدر عنه نوعان من الإحساسات ، يكون أحدهما شبيهاً بالإدراك الحسي الداخلي . وقد بحث علم النفس الفسيولوجي بالتفصيل كيف اكتسب البدن أهميته بالنسبة إلى الأشياء الأخرى في عالم الإدراك الحسي . ويبدو أن للألم أيضاً دوراً في هذه العملية ، وربما تكون الطريقة التي نعرف بها شيئاً جديداً عن أعضائنا أثناء الأمراض المؤلمة هي النموذج الذي على نسقه نصل على وجه عام إلى فكرتنا عن بدننا الخاص .

إن الأنا هو أولاً وبالذات أنا بدني [١] . وهو ليس مجرد كيان سطحي وإنما هـو إسقـاط السطـح . وإذا أردنـا أن نبحـث عـن مثال تشريحي له فإننا نستطيع بسهولة أن نشبهـه « بجنين اللحاء [٢] » الذي يعرفه علماء التشريح ، وهو يبدو واضعاً رأسه في اللحاء ، ورافعاً قدمية إلى أعلى ، ومتجهاً بوجهه ناحية الخلف ، كما تبدو منطقة الكلام عنده في ناحية اليسار كما هو معروف .

لقد أشرنا مراراً إلى علاقة الأنا بالشعور ، ولكن لا زالت هناك في هذا الصدد بعض الحقائق الهامة التي تحتاج إلى شرح . ولما كنا متعادين على أن ننقل معنا في أي مكان نوجد فيه معايير قيمنا الاجتماعية والخلقية فإننا لا نشعر بأية دهشة حينما نسمع أن مسرح نشاط الانفعالات الدنيا موجود في اللاشعور . وفضلاً عن ذلك ، فنحن نتوقع أنه كلما ارتفعت درجة الوظيفة العقلية في سلم قيمنا ، كان ظهورها في الشعور أكثر سهولة . غير أن خبرتنا في التحليل النفسـي قد خيبت ظننا في هذه النقطة . فلقد تبين لنا أنه حتى تلك العمليات العقلية الدقيقة والمعقدة التي تتطلب في العادة

---

(١) [body-ego . لأن الشعور بالإنية (أي الشعور بالذات) إنما هو مستمد في الأصل من الاحساسات البدنية . والأنا منطقة إسقاط لجميع الاحساسات التي تحدث في البدن] . (المترجم)

(٢) [Cortical homunculus] . توجـد في لحـاء المخ أمام شق رولاندو Rolando fissure المراكز العصبية الحركية التي تشرف على الحركة في جميع أجزاء البدن . وتوجد المراكز العصبية التي تشرف على حركة القدمين والساقين والفخذين في أعلى اللحاء ، والتي تشرف على الحركة في اليدين والفم والرأس إلى أسفل ، وتوجد المراكز العصبية المشرفة على الإحساسات من الجلد والعضلات ، وبنفس الترتيب المقلوب الذي ذكرناه سابقاً . على الجانب الآخر من شق رولاندو في مقابل المراكز العصبية المشرفة على الحركة . وتلجأ كتب التشريح عادة إلى رسم جنين في وضع مقلوب ، توجد رأسه أسفل وقدمـه أعلى ، وذلك لتوضيح مواضع المراكز العصبية الحركية والحسية في اللحاء . وكذلك لتوضيح الأحجام النسبية لهذه المراكز . وهذا هو ما يشير إليه فرويد . انظر :

Samson Wright: Applied Physiology,
London: Oxford Univ. Press, 1941, pp. 106 — 107.] (المترجم)

انتباهاً شديداً فمن الممكن أن تحدث أيضاً وهي قبلشعـورية ودون أن تظهر في الشعور . وتوجد أمثلة لذلك لا يمكن إنكارها . فقد تحدث هذه العمليات مثلاً أثناء النوم ، كما يظهر ذلك عندما يجد شخص عقب استيقاظه مباشرة أنه يعرف حل مشكلة رياضية صعبة أو أية مشكلة أخرى كان يحاول حلها عبثاً في اليوم السابق[1] .

وهناك ظاهرة أخرى أكثر غرابة . فقد ظهر لنا أثناء التحليل أنه يوجد أشخاص تكون عندهم قوة نقد النفس وقوة الضمير – وهما في مرتبة عالية جداً بين أنواع النشاط العقلي – لاشعوريتين ، كما أنهما تحدثان بطريقة لاشعورية نتائج في غاية الأهمية . وعلى ذلك فليست المقاومات التي لا تظل لاشعورية أثناء التحليل هي المثال الوحيد لذلك . ولكن هذا الاكتشاف الجديد الذي يضطرنا ، بالرغم مما عندنا من قوة للنقد ، إلى التكلم عن « الإحساس اللاشعوري بالذنب » إنما يحيرنا أكثر من الاكتشاف الآخر ، كما أنه يثير مشاكل جديدة وخاصة عندما يبدأ يتضح لنا بالتدريج أن هذا الإحساس اللاشعوري بالذنب إنما يلعب دوراً اقتصادياً[2] هاماً في عدد كبير من الأمراض العصابية ، كما أنه يضع أعظم العوائق في طريق الشفاء . وإذا عدنا مرة أخرى إلى ما عندنا من سلم للقيم لوجب علينا أن نقول إن ما هو أدنى في الأنا لا يستطيع وحده أن يصبح لاشعورياً ، بل يستطيع ذلك أيضاً ما هو أسمى . وهكذا يبدو كأننا قد وجدنا برهاناً لما كنا نقوله الآن عن الأنا الشعوري : وهو أنه أولاً وبالذات أنا بدني[3] .

---

(١) لقد ذكر لي حديثاً جداً مثال لذلك وقد قيل لي في الواقع على أنه اعتراض على وصفي « لعمل الحلم » .

(٢) [انظر تعليقنا بالهامش رقم ٢ ص ٢٧] . (المترجم) .

(٣) [وذلك لان الإحساسات البدنية – وهي التي تكون حقيقة الأنا – تنفذ إلى الشعور مباشرة . أما العمليات العقلية فقد تكون لاشعورية ، وقد لا تستطيع النفاذ إلى الشعور مباشرة] . (المترجم) .

الأنا والأنا الأعلى(١)

(الأنا المثالي(٢))

لعلّ الأمر يكون في غاية البساطة لو كان الأنا هو فقط ذلك القسم من الهو الذي طرأ عليه التعديل نتيجة تأثير جهاز الإدراك الحسي الذي يقوم بتمثيل العالم الخارجي الواقعي في العقل . ولكن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك .

لقد أشرنا في موضع آخر(٣) إلى الاعتبارات التي جعلتنا نفترض وجود مرتبة متمايزة في الأنا يمكن أن نسميها الأنا المثالي أو الأنا الأعلى . ولا تزال هذه الاعتبارات صحيحة حتى الآن(٤) . إن الأمر الجديد الذي يحتاج الآن إلى تفسير هو أن هذا القسم من الأنا أقل ارتباطاً بالشعور من بقية أقسام الأنا الأخرى .

---

(١) Super-Ego

(٢) Ego-Ideal

(٣) "On Narcissim: An Introduction" (1914), Collected papers, vol. 4; and Group Psychololy and the Analysis of the Ego (1921), London, 1922.

(٤) غير أنه يبدو أنني كنت مخطئاً حينما نسبت وظيفة اختبار واقعية الأشياء إلى هذا الأنا الأعلى – وهذه نقطة تحتاج إلى تصحيح . فالرأي الذي يذهب إلى أن اختبار الواقع هو أحد وظائف الأنا نفسه إنما يتفق كل الإتفاق مع ما هو معروف عن علاقة الأنا بعالم الإدراك الحسي . وكذلك يجب تصحيح بعض اقتراحاتنا السابقة التي لم توضع حتى الآن في صورة محددة وهي اقتراحات تتعلق « بنواة الأنا » حيث إنه من الممكن أن نعتبر جهاز « الإدراك الحسي ـ الشعور » وحده كأنه نواة الأنا .

ويجب علينا في هذه النقطة أن نوسع دائرة بحثنا قليلاً . لقد كنا موفقين حينما فسرنا ذلك الاضطراب المؤلم الذي يعرف بالمالنخوليا[1] بأن افترضنا أن الأنا عند هؤلاء الأشخاص المصابين بهذا الاضطراب قد استعاد أحد موضوعات حبه القديمة ، أي أنه قد استبدل بحبه لهذا الموضوع[2] تقمص شخصيته[3] . وعلى أية حال فإننا عندما عرضنا

---

(١) [Melancholia . المالنخوليا مرض عقلي يتميز بحالة من الكآبة تسود المريض . وقد تظهر أعراض المالنخوليا في حالات كثيرة من الأمراض العقلية ، ولكنها تعتبر عادة من الأعراض الرئيسية لذهان الهوس والاكتئاب Manic-depressive Psychosis . وذهان الهوس والاكتئاب اصطلاح أطلقه كرايبلين Kraepelin على الاضطرابات العقلية التي تتكون من نوبات متعاقبة من الهوس Mania والاكتئاب (depression) Melancholia . وكانت حالتا الهوس والاكتئاب تعتبران قديماً مرضين عقليين منفصلين ، أما اليوم فهما يعتبران عادة مرحلتين من مرض عقلي واحد هو ذهان الهوس والاكتئاب .
ويذهب فرويد إلى أن أعراض المالنخوليا الرئيسية هي الاكتئاب وفقدان الاهتمام بالعالم الخارجي ، وفقدان القدرة على الحب ، وكف Inhibition جميع مظاهر النشاط ، والشعور بالنقص ، والميل نحو تأنيب الذات ولومها مما يؤدي إلى التوقع الوهمي للعقاب (انظر فرويد ، « الحزن والمالنخوليا » مجموعة المقالات ، الجزء الرابع) .
ويرى فرويد أن فقدان موضوع الحب يؤدي إلى قيام المحب بتقمص شخصية موضوع الحب . وبتقمص شخصية موضوع الحب ينتقل الصراع الذي كان يثيره الموضوع الخارجي إلى الأنا . فالليبدو الذي كان متجهاً إلى الموضوع الخارجي أصبح الآن يتجه إلى الأنا ، وكذلك العدوان الذي كان متجهاً إلى الموضوع الخارجي أصبح الآن يتجه إلى الأنا . وينشأ عن اتجاه العدوان إلى الأنا حالات الشعور بالنقص وتأنيب الضمير والاكتئاب وهي الحالات التي يشعر بها المريض بالمالنخوليا] . (المترجم) .

(٢) [object cathexis. المعنى الحرفي لكلمة Cathexis هو الشحنة النفسية أو شحنة الطاقة النفسية . ومعنى object-cathexis هو الشحنة النفسية المتعلقة بموضوع خارجي ، والمقصود بها هنا نزعة الحب المتجهة نحو أحد الأشخاص . وقد آثرنا أن نترجم object-cathexis في هذا الموضوع بمعناه الواضح البسيط وهو « حب الموضوع » . والموضوع في اصطلاح التحليل النفسي هو الشخص أو الشيء الذي تتجه نحوه الطاقة الغريزية ويكون هدفاً للإشباع أو التفريغ] . (المترجم) .

(٣) Identification . « الحزن والمالنخوليا ». Mourning and Melancholia مجموعة المقالات ، الجزء الرابع .

هذا التفسير في أول الأمر لم نكن نقدر الأهمية الكاملة لهذه العملية ، كما أننا لم نكن ندري مقدار شيوعها ، وإلى أي حد يمكن اعتبارها نموذجية . غير أننا قد أخذنا نفهم بعد ذلك أن لهذا النوع من الإبدال دوراً كبيراً في تحديد الصورة التي يتخذها الأنا ، كما أنه يساهم إسهاماً أساسياً في تكوين ما يسمى بخُلُق[١] الأنا .

وفي أول الأمر أثناء المرحلة الفمية[٢] البدائية عند الفرد ، يكون من الصعب جداً التمييز بين حب الموضوع والتقمّص . ونستطيع فقط أن نفترض أن حب الموضوع بالميول الشبقية يأخذ فيما بعد يصدر عن الهو الذي يشعر كأنها حاجات . ويفطن الأنا الذي لا يزال ضعيفاً إلى حبه للموضوع ، وهو إما أن يستسلم لهذا الحب ، وإما أن يحاول أن يقي نفسه منه بعملية الكبت[٣] .

---

(١) Character

(٢) Oral Phase . يرى فرويد أن الحياة الجنسية لا تقتصر فقط على وظيفة التناسل وإنما هي تشمل أيضاً الوظيفة الخاصة بالحصول على اللذة من بعض مناطق البدن . والفم أول منطقة شبقية تظهر عقب الولادة مباشرة . ويتركز النشاط النفسي للطفل في أول الأمر حول إشباع رغبة هذه المنطقة . ومع أن الوظيفة الأولى لهذه المنطقة هي تناول الغذاء لحفظ الذات إلا أن إصرار الطفل بعناد على الرضاعة ليدل على وجود رغبة في الحصول على اللذة بصرف النظر عن تناول الغذاء . ويصف فرويد هذه الرغبة بأنها جنسية . وهو يسمي هذه الفترة الأولى من حياة الطفل المرحلة الفمية . [للوقوف على عملية نشوء الوظيفة الجنسية ومراحلها المختلفة في رأي فرويد . انظر « معالم التحليل النفسي » لفرويد ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الخامسة ، الفصل الثالث] . (المترجم) .

(٣) وهناك مشابهة طريقة لإحلال التقمص محل حب الموضوع نجدها في اعتقاد البدائيين — وفيما وضعوه من محرمات بناء على هذا الاعتقاد — وهو أن صفات الحيوانات التي يتمثلونها في أجسامهم كغذاء إنما تبقى كجزء من خلق الأشخاص الذين يأكلونها . وهذا الاعتقاد ، كما هو معروف جيداً ، إنما هو أحد الأسس التي نشأت منها عادة أكل لحوم الحيوانات . ومن الممكن أن نتبع نتائج هذا الاعتقاد خلال سلسلة العادات التي نشأت في الفترة الواقعة بين عيد الطوطم Totem حتى القربان المقدس . إن ما ينسبه هذا الاعتقاد من نتائج إلى السيطرة الفمية على الموضوع إنما تشاهد في الواقع فيما بعد في حالة اختيار الموضوع الجنسي .

عندما يحدث أن يضطر أحد الأشخاص إلى التخلي عن أحد الموضوعات الجنسية فإنه غالباً ما يترتب على ذلك أن يطرأ تغير في أنا هذا الشخص يمكن وصفه فقط بأنه عبارة عن وضع هذا الموضوع داخل الأنا كما يحدث ذلك في المالنخوليا . ولا زالت حقيقة طبيعة هذا الإبدال أمراً غير معروف لنا . وربما يكون الأنا بقيامه بهذا الامتصاص[1]، الذي هو عبارة عن نوع من النكوص[2] إلى طريقة المرحلة الفمية ، إنما يسهل بذلك التخلي عن الموضوع ، أو إنما هو بذلك يجعل هذه العملية ممكنة . وربما يكون هذا التقمص هو الشرط الوحيد لتخلي الهو عن موضوعات حبه . وعلى أية حال فإن هذه العملية كثيرة الوقوع وعلى الأخص في مراحل النمو الأولى ، وهي تؤدي بنا إلى أن نفترض أن خلق الأنا إنما ينشأ عن حبه السابق لبعض الموضوعات ، وأنه يتضمن تاريخ اختياراته السابقة لهذه الموضوعات . ويجب بالطبع أن نسلم منذ البداية بأنه توجد درجات مختلفة للقدرة على المقاومة ، وهي التي تحدد مقدار مقاومة خُلُق الفرد لتأثير تاريخ اختيارات موضوعات

(١) [Introjection] الامتصاص اصطلاح استعمله في أول الأمر ساندور فيرنزي Sandor Ferenczi المحلل النفسي الهنغاري وأحد تلاميذ فرويد ، ثم شاع استعمال هذا الاصطلاح بين المحللين النفسيين . ويطلق « الامتصاص » على العملية السيكولوجية التي يتم بمقتضاها إدماج صورة موضوع الحب في منظمة الأنا . وينتج عن ذلك تحول الليبدو (الطاقة النفسية المتعلقة بالغريزة الجنسية) عن الموضوع الخارجي واتجاهه نحو صورته العقلية الموجودة في الأنا . ويشاهد ذلك بوضوح في بعض حالات الحزن الناشئة عن موت المحبوب . فإن المحب يقوم بتمثُّل صورة المحبوب في نفسه ، وتأخذ انفعالاته تتجه نحو هذه الصورة العقلية للمحبوب كما كانت تتجه نحو المحبوب نفسه . ويشاهد ذلك أيضاً في حالات المالنخوليا (انظر هامش ١ ص ٤٧] . (المترجم) .

(٢) [Regression النكوص هو العودة إلى حالة سابقة من حالات التكيف التي تتعلق بمرحلة سابقة من مراحل النمو] . (المترجم) .

حبه ، أو مقدار قبوله لتأثيرها . ويبدو أنه ليس من الصعب على النساء اللائي كانت لهن في الماضي خبرات حب كثيرة أن يجدن في سمات خلقهن آثاراً لحبهن القديم للموضوع . ويجب علينا أيضاً أن نراعي الحالات التي يحدث فيها حب الموضوع والتقمص في وقت واحد ، وهي الحالات التي يحدث فيها تغير الخلق قبل التخلي عن الموضوع . ويستطيع التغير في الخلق في مثل هذه الحالات أن يبقى بعد زوال العلاقة بالموضوع ، وقد يستطيع أن يحفظ هذه العلاقة على نحو من الأنحاء .

وقد يقال من وجهة نظر أخرى أن تحول اختيار الموضوع الشبقي إلى صورة تغير يطرأ على الأنا إنما هو أيضاً عبارة عن وسيلة يستطيع بها الأنا أن يقبض على زمام الهو وأن يوثق علاقته به – وهو يدفع ثمناً لذلك في الحقيقة استسلامه لخبرات الهو إلى درجة كبيرة . وعندما يتخذ الأنا صفات الموضوع فإنه يقوم بفرض نفسه على الهو كموضوع للحب ، ويحاول أن يهون من أمر ضياع ذلك الموضوع بقوله « انظر ، إنني أشبه الموضوع أيضاً ، فأنت تستطيع أن تحبني كذلك » .

إن تحول اللبيدو المتعلق بالموضوع[1] إلى لبيدو نرجسي[2] ، وهو

---

(١) [Object-libido أطلق فرويد « اللبيدو » في كتاباته الأولى على الطاقة النفسية المتعلقة بالغرائز الجنسية . ولما عدل فرويد نظريته في الغرائز فيما بعد وقال بغريزتين جديدتين هما « إيروس Eros أي غريزة الحب و« ثاناتوس » Thanatos أي غريزة الموت ، تغير معنى اللبيدو تبعاً لذلك وأصبح يطلق على الطاقة النفسية المتعلقة بهاتين الغريزتين ، أي أصبح اللبيدو هو الطاقة النفسية على وجه عام . ولكن لا زال « اللبيدو» يستعمل في كثير من الأحيان بمعناه الأول وهو الطاقة النفسية المتعلقة بالغرائز الجنسية . وهذا هو معنى اللبيدو في هذا الموضع من النص . فمعنى« اللبيدو المتعلق بالموضوع » هو الرغبة الجنسية المتجهة نحو الموضوع] . (المترجم) .

(٢) [Narcissistic libido . النرجسية Narcissism اصطلاح يستخدمه فرويد ويقصد به عشق الذات . و« اللبيدو النرجسي » هو اتجاه اللبيدو نحو الذات واتخاذها موضوعاً للعشق وهدفاً للذة . ولفظ النرجسية مشتق من نرجس (أو ناركيسس) Narcissus =

ما يحدث في هذه الحالة ، إنما يتضمن بوضوح التخلي عن الأهداف الجنسية ، أي يتضمن عملية سحب الطاقة الجنسية[١] ـ فهو إذن عبارة عن نوع من الإعلاء[٢] . ويعرض لنا هنا سؤال يحتاج إلى عناية دقيقة وهو : أليست هذه هي الطريقة العامة لحدوث الإعلاء ، أليست تحدث جميع حالات الإعلاء بوساطة الأنا الذي يقوم أولاً بتحويل اللبيدو الجنسي المتعلق بالموضوع إلى لبيدو نرجسي ، وربما يقوم بعد ذلك بتوجيهه نحو هدف آخر[٣] ؟ وسنضطر فيما بعد إلى النظر فيما إذا لم يكن من

= المذكور في الأسطورة اليونانية ، وهو شاب جميل رأى صورة وجهه على صفحة الماء فعشقها وهام يحبها] . (المترجم) .

(١) Desexualization

(٢) [Sublimation من الممكن أن تجرد الدوافع والرغبات من الطاقة الجنسية المتعلقة بها فتتحول هذه الدوافع والرغبات إلى صور أخرى من النشاط غير الجنسي . فمن الممكن مثلاً أن تحول الطاقة النفسية المتعلقة بالرغبة الجنسية نحو أنواع كثيرة من النشاط غير الجنسي كالألعاب الرياضية والآداب والفنون . وتعرف عملية تجريد الدافع الجنسي من طاقته الجنسية « بسحب الطاقة الجنسية » desexualization . أما عملية سحب الطاقة الجنسية من هدفها الجنسي وتحويلها إلى أهداف غير جنسية تكون مقبولة من المجتمع فتعرف بالإعلاء أو التسامي sublimation] . (المترجم) .

(٣) أما وقد ميزنا الآن بين الأنا وبين الهو فيجب علينا أن نعتبر الهو كأنه ذلك المخزن الكبير للبيدو الذي أشرت إليه في مقالتي التمهيدية عن النرجسية (مجموعة المقالات ، الجزء الرابع) . وتحدث النرجسية الثانوية نتيجة لتدفق اللبيدو إلى الأنا بسبب حالات التقمص التي شرحتها سابقاً .

[لا يستطيع الطفل المولود حديثاً أن يميز بين نفسه وبين الأشخاص والأشياء الأخرى الخارجية . ولذلك يتعلق لبيدو الطفل في أول الأمر بذات الطفل نفسه ، ويعرف حب الطفل لذاته بالنرجسية الأولية Primary narcissism . وحينما يبدأ الطفل يميز بين نفسه وبين الأشخاص المحيطين به يبدأ لبيدو الطفل يتجه نحو هؤلاء الأشخاص وخاصة الأم والأب ، ويعرف ذلك عادة بحب الموضوع object love . فإذا ارتد اللبيدو الذي كان متعلقاً بالموضوع الخارجي واتجه مرة أخرى إلى الذات ، أي إذا تحول اللبيدو المتعلق بالموضوع إلى لبيدو نرجسي ، سمى ذلك بالنرجسية الثانوية secondary narcissism] (المترجم) .

المحتمل أن ما يطرأ على الغرائز من تقلبات أخرى إنما ينشأ نتيجة لهذا التحويل ، وفيما إذا لم يكن من المحتمل مثلاً أن ينشأ عن ذلك انفصال للغرائز التي كانت متحدة .

وبالرغم مما في ذلك من خروج عن موضوعنا ، إلا أننا لا نستطيع أن نتجنب توجيه اهتمامنا لحظة أخرى نحو تقمصات الأنا للموضوعات . فإذا تغلبت هذه التقمصات على الأنا ، وإذا كثر عددها ، وازدادت شدتها ، وتعارض بعضها مع البعض الآخر ، كان من المحتمل أن ينشأ المرض عن ذلك . وقد ينتج عن ذلك تمزيق لوحدة الأنا ، وذلك حينما تأخذ المقاومات تفصل هذه التقمصات بعضها عن بعض . وربما يرجع سر الحالات التي تسمى بتعدد الشخصية[1] إلى سيطرة هذه التقمصات المختلفة على الشعور الواحدة بعد الأخرى . وحتى إذا لم تصل الحال إلى هذه الدرجة فلا يزال يوجد الصراع بين التقمصات المختلفة التي مزقت وحدة الأنا ، وهو صراع لا يمكن وصفه بأنه حالة مَرَضية خالصة .

ولكن مهما أصبحت قدرة خُلُق الشخص على مقاومة تأثير حبه السابق المهجور للموضوع في السنوات التالية ، فإن آثار التقمصات الأولى التي تتم في الأيام الأولى من الطفولة ستكون عامة وباقية إلى الأبد . وهذا يعود بنا مرة أخرى إلى نشأة الأنا المثالي ، إذ أن وراءه يكمن أول وأهم التقمصات جميعها ، ألا وهو تقمص شخصية الأب[2] الذي يحدث

---

(١) Multiple personality

(٢) ربما يكون من الأسلم أن نقول « تقمص شخصية الوالدين » ذلك لأن الطفل لا يستطيع أن يميز من حيث القيمة بين أبيه وبين أمه قبل أن يعرف بالدقة الفرق بين الجنسين وهو عدم وجود القضيب . ولقد مرت بي حديثاً حالة سيدة صغيرة السن متزوجة ، ظهر من قصتها إنها عندما لاحظت عدم حصولها على قضيب أخذت تعتقد أن القضيب لا ينقص جميع السيدات ، وإنما ينقص فقط أولئك السيدات اللائي يعتبرن ناقصات في رأيها . وكانت هذه السيدة لا تزال تعتقد أن لأمها قضيباً .
ولتبسيط العرض سأقتصر فقط على مناقشة تقمص شخصية الأب .

في الأيام الأولى من تاريخ حياة كل شخص . ويظهر أن هذا التقمص ليس في الأصل عاقبة أو نتيجة حب الموضوع ، وإنما هو تقمص مباشر يقع قبل تعلق الشخص بحب أي موضوع . ولكن يظهر أن حب الموضوع الذي يتعلق بالمرحلة الجنسية المبكرة والذي يرتبط بالأب والأم إنما يؤدي في العادة إلى تقمص من النوع الذي تكلمنا عنه سابقاً . وهكذا يقوم هذا التقمص بتدعيم التقمص الأول .

إن الموضوع كله مع ذلك معقد جداً بحيث يصبح من الضروري أن نعرضه بمزيد من التفصيل . ويرجع تعقيد المشكلة إلى عاملين : الصفة الثلاثية لموقف أوديب[1] ، والثنائية الجنسية[2] في بِنْية كل فرد .

ويمكن وصف حالة الطفل الذكر في أبسط صورها كما يأتي : يبدأ الولد الصغير في سن مبكرة يشعر بالحب نحو « أمه » ، وهو حب كان في الأصل متعلقاً بثدي الأم ، كما أنه أول حالة من حالات اختيار الموضوع تنشأ على صورة الاعتماد على الأم . أما فيما يعلق « بالأب » فإن الولد يقوم بتقمص شخصية . وتبقى هاتان العلاقتان جنباً إلى جنب

(١) [Oedipus situation موقف أوديب هو الموقف أو المرحلة التي تظهر فيها عقدة أوديب . وتتلخص عقدة أوديب في حب الطفل لأمه وكرهه لأبيه . ويسمي فرويد هذه الحالة بعقدة أوديب نسبة إلى الملك أوديب الذي روت الأسطورة اليونانية عنه أنه قتل أباه وتزوج أمه من غير علم منه بأنهما والداه . فلما عرف الحقيقة فيما بعد فقأ عينيه حزنـاً وكمداً] . (المترجم) .

(٢) [Bisexuality تعني الثنائية الجنسية وجود خصائص الجنسين (الذكورة والأنوثة) في شخص واحد . وقد تظهر الثنائية الجنسية بصورة عضوية وذلك حينما توجد أعضاء تناسل الرجل والمرأة في شخص واحد . وتعرف هذه الحالة أيضاً بالخنوثة hermaphroditism . وقد تظهر الثنائية الجنسية بصورة سيكولوجية فقط وذلك حينما توجد الخصائص والصفات السيكولوجية لكل من الرجال والنساء في شخص واحد . ويرى فرويد انه توجد في كل إنسان عناصر من الذكورة والأنوثة . وتتوقف شخصية الفرد وخلقه إلى حد كبير على مقدار الكبت أو التدعيم الذي يتعرض له كل نوع من هذه العناصر في مرحلة الطفولة] . (المترجم) .

لفترة من الوقت ، حتى تأخذ الرغبات الجنسية المتجهة نحو الأم تزداد في الشدة ، ويأخذ الأب يبدو كأنه يعوق تحقيق هذه الرغبات . وعن ذلك تنشأ عقدة أوديب . ثم يأخذ تقمص شخصية الأب بعد ذلك يتخذ صفة عدائية ، ويتحول إلى رغبة في التخلص من الأب لكي يأخذ مكانه من الأم . وتصبح علاقته الوجدانية مع الأب منذ هذه اللحظة متناقضة . ويبدو كأنما هذا التناقض الوجداني[1] – وهو أمر طبيعي في التقمص منذ البداية – قد أصبح الآن واضحاً . ويتكون من موقف التناقض الوجداني نحو الأب وعلاقة الحب الشديدة نحو الأم مضمون عقدة أوديب الإيجابية[2] البسيطة عند الولد .

وبزوال عقدة أوديب يصبح من الواجب على الولد أن يتخلى عن حب أمه . وقد يُملأ مكانها بأحد أمرين : إما بتقمص شخصية الأم ، وإما بزيادة شدة تقمصه لشخصية أبيه . ونحن نعتبر في العادة النتيجة الثانية هي النتيجة السوية . فهي تسمح لعلاقة الحب نحو الأم بالبقاء على نحو ما . ويؤدي زوال عقدة أوديب بهذه الطريقة إلى تأكيد صفة الذكورة في خُلُق الولد . وبنفس هذه الطريقة تماماً قد تؤدي عقدة أوديب في البنت الصغيرة إلى زيادة شدة تقمصها لشخصية أمها (أو قد تحدث هذا التقمص لأول مرة) – ومن شأن هذه النتيجة أن تطبع خلق الطفلة بطابع الأنوثة .

---

(١) Ambivalence . انظر « علم النفس الجماعي وتحليل الأنا » Group Psychology and the Analysis of the Ego ، الفصل السابع .

(٢) [تطلق « عقدة أوديب الإيجابية » على حب الطفل لأمه وكرهه لأبيه (انظر هامش ١ ص ٥٣) . وهذه هي أبسط صورة تظهر فيها عقدة أوديب عند الأطفال وذلك لأن الأم هي في العادة الشخص الذي يعنى بالطفل ويقضي له حاجاته . ولذلك توصف عقدة أوديب الإيجابية بالبساطة .

وتطلق « عقدة أوديب السلبية » على حب الطفل لأبيه وكرهه لأمه وهذا هو الاتجاه الذي تسلكه البنت عادة] . (المترجم) .

ولا تطابق هذه التقمصات ما كنا نتوقع بناءً على أقوالنا السابقة ، إذ أنها لا تتضمن امتصاص الأنا للموضوع المتروك . ولكن من المحتمل أن تقع هذه النتيجة الأخرى أيضاً ، وهي أمر يلاحظ عند البنات أكثر مما يلاحظ عند الأولاد . وغالباً ما يبين التحليل أن البنت الصغيرة ، بعد أن تتخلى عن أبيها من حيث هو موضوع حبها ، تأخذ في إظهار ذكورتها وفي تقمص شخصية أبيها (أي تقمص شخصية الموضوع المفقود) بدلاً من تقمص شخصية أمها . ومن الواضح أن هذا يتوقف على درجة شدة الذكورة في استعدادها الطبيعي - كيفما كانت حقيقة طبيعة هـــذا الاستعداد .

ويبدو إذن أن الشدة النسبية للاستعدادات الجنسية نحو الذكورة والأنوثة في كل من الجنسين هي التي تعين ما إذا كانت نتيجة موقف أوديب ستؤدي إلى تقمص شخصية الأب أم شخصية الأم . وهذه هي إحدى الصور التي تتدخل فيها الثنائية الجنسية فيما يطرأ على عقدة أوديب من تقلبات . أما الصورة الأخرى فهي أكثر أهمية - إذ يبدو لنا أن عقدة أوديب البسيطة ليست أكثر أنواع هذه العقدة شيوعاً ، وإنما هي تمثل نوعاً من التبسيط أو التنظيم الذي غالباً ما يكون في الواقع ملائماً للأغراض العملية . وتكشف الدراسة الدقيقة في العادة عن وجود عقدة أوديب الكاملة[1] ، وهي ذات وجهين ، وجه إيجابي ووجه سلبي ، وهي ترجع

---

(١) [يطلق فرويد « عقدة أوديب الكاملة » Complete Oedipus Complex على الحالات التي تظهر فيها « عقدة أوديب الإيجابية » و« عقدة أوديب السلبية » عند طفل واحد . فقد يحب الطفل أمه أحياناً ويشعر بالتناقض الوجداني تجاه أبيه مما يؤدي عادة إلى تقمص الطفل لشخصية الأب . وقد يحب نفس الطفل أباه أيضاً في بعض الأحيان الأخرى كما يشعر بالتناقض الوجداني نحو أمه مما يؤدي عادة إلى تقمصه لشخصية الأم .

ويذهب فرويد إلى أن « عقدة أوديب الكاملة » هذه إنما ترجع إلى وجود الثنائية الجنسية في طبيعة كل طفل . وتتوقف الصورة النهائية التي تتخذها عقدة أوديب على مقدار عناصر الذكورة والأنوثة الموجودة بالفطرة في طبيعة كل فرد ، وعلى التجارب والخبرات الشخصية التي يتعرض لها الفرد في مرحلة الطفولة] . (المترجم) .

إلى الثنائية الجنسية الموجودة في الأصل عند الأطفال . ومعنى هذا أن الولد لا يقف فقط موقف التناقض الوجداني من أبيه وموقف المحب مع أمه ، وإنما هو يسلك أيضاً في نفس الوقت سلوك البنت ، ويبدي ميلاً أنثوياً عاطفياً نحو أبيه ، كما يبدي اتجاه العداء نحو أمه والغيرة منها . وهذا العنصر المعقد الخاص بالثنائية الجنسية هو الذي يجعل من الصعب جداً أن نصل إلى فكرة واضحة عن الحقائق المتعلقة بالحالات المبكرة لحب الموضوعات والتقمصات ، وهو أيضاً الذي يجعل وصفها وصفاً مفهوماً أمراً في غاية الصعوبة . وربما يكون التناقض الوجداني الذي يظهر في علاقة الطفل بوالديه إنما هو راجع كلية إلى الثنائية الجنسية ، وليس ناشئاً كما قلت سابقاً عن تقمص يحدث نتيجة للمنافسة .

وفي رأيي أنه من الأفضل على وجه عام أن نفترض وجود عقدة أوديب الكاملة ، وخاصة فيما يتعلق بالعصابيين . ويتضح من خبرتنا بالتحليل أن أحد عنصري عقدة أوديب يكون في كثير من الحالات غير ظاهر ، فيما عدا بعض الآثار الطفيفة جداً ، بحيث تكون النتيجة وجود سلسلة تقع عقدة أوديب الإيجابيه العادية على أحد طرفي السلسلة ، وتقع عقدة أوديب السلبية العكسية على الطرف الآخر ، بينما تتكون الحالات المتوسطة من نوع عقدة أوديب الكاملة التي ترجح فيها كفة أحد عنصري عقدة أوديب . وعندما تحل عقدة أوديب فإن هذه الاتجاهات الأربعة التي تتكون منها هذه العقدة تتجمع على نحو ما بحيث تؤدي إلى تقمص شخصية الأب والى تقمص شخصية الأم . ويقوم تقمص شخصية الأب بحفظ علاقة الحب نحو الأم وهي العلاقة الخاصة بعقدة أوديب الإيجابية ، كما أنه يقوم في نفس الوقت بالحلول محل علاقة الحب نحو الأب وهي العلاقة الخاصة بعقدة أوديب العكسية[1] . ونفس هذا الشيء صحيح بالنسبة إلى تقمص شخصية الأم ؛

(١) [عقدة أوديب العكسية هي عقدة أوديب السلبية انظر هامش ١ ص ٥٥] . (المترجم)

مع مراعاة تغير العلاقات في هذه الحالة . وتبين الشدة النسبية لهذين النوعين من التقمص في أي فرد مقدار رجحان أحد الاستعداديـــن الجنسيين عنده [١] .

وعلى ذلك فمن الممكن أن نعتبر أن النتيجة العامة الإجمالية للمرحلة الجنسية التي تسيطر عليها عقدة أوديب إنما هي عبارة عن تكوين أثر في الأنا يتكون من هذين النوعين من التقمص مجتمعين معاً على نحو ما . ويقوم هذا التغير الذي يطرأ على الأنا بالاحتفاظ بوضعه الخاص ؛ فهو يقف موقفاً مخالفاً لمضموني الأنا الآخرين [٢] في صورة أنا مثالي أو أنا أعلى .

وليس الأنا الأعلى مجرد أثر خلفته اختيارات الموضوع المبكرة التي قام بها الهو ، ولكنه يمثل أيضاً تكوين رد فعل [٣] قوي ضد هذه الاختيارات . وليست علاقته بالأنا قاصرة فقط على اتباع هذا القانون : « ينبغي عليك أن تكون كذا وكذا (مثل أبيك) » ، ولكنها تشمل أيضاً هذا التحريم : « لا يجب عليك أن تكون كذا وكذا (مثل أبيك) ، أي لا يجب عليك أن تفعل كل ما يفعل ، فهناك أشياء كثيرة تعتبر من حقوقه الخاصة » . وينشأ هذا الازدواج في علاقة الأنا المثالي من قيامه بمهمة كبت عقدة

---

(١) [ترجح كفة الذكورة عند الطفل الذي يتقمص شخصية أبيه ويحب أمه . وترجح كفة الأنوثة عند الطفل الذي يتقمص شخصية أمه ويحب أباه] . (المترجم) .

(٢) [أي القسم الشعور والقسم اللاشعوري في الأنا . أنظر آخر الفصل الثاني] . (المترجم) .

(٣) [Reaction formation] تكوين رد الفعل اصطلاح يطلق على نشوء بعض الاتجاهات والميول الشعورية في الأنا تكون مضادة لبعض الدوافع والنزعات اللاشعورية . مثال ذلك الشعور بالحب أو العطف الذي يكون رد فعل للبغض أو الكره اللاشعوري .

وتكوين رد الفعل عملية دفاعية يلجأ إليها الأنا للوقاية من الدوافع اللاشعورية غير المقبولة . ويرى فرويد أن الأنا الأعلى عبارة عن تكوين رد فعل من هذا النوع . ذلك لأن الطفل يلجأ إلى التخلص من كرهه لوالديه بتقمص شخصيتهما . ومن هذه التقمصات يتكون الأنا الأعلى] . (المترجم) .

أوديب . وفي الحقيقة إن الأنا المثالي يدين بوجوده لهذا الحادث الثوري .
ومن الواضح أن كبت عقدة أوديب لم يكن أمراً سهلاً ، فقد كان الطفل يدرك أن الوالدين ، وخاصة الأب ، يقفان عقبة في سبيل تحقيق الرغبات الأوديبية . ولذلك قام أنا الطفل بتقديم معونة لتحقيق هذا الكبت ، وذلك بإقامة نفس هذا العائق في داخل نفسه . وقد استعار الطفل قوته على القيام بهذه المهمة من الأب . وهذا أمر في غاية الأهمية . فالأنا الأعلى يقوم بالإبقاء على خُلُق الأب . وكلما اشتدت وطأة عقدة أوديب ، وكلما كان كبتها يتم بسهولة (تحت تأثير السلطة والتعاليم الدينية والتعليم والقراءة) كانت سيطرة الأنا الأعلى على الأنا فيما بعد أشد . وتظهر هذه السيطرة في صورة الضمير أو الإحساس اللاشعوري بالذنب . وسأقوم فيما بعد بعرض اقتراح بخصوص مصدر القوة التي يستخدمها الأنا الأعلى في سيطرته بهذه الطريقة ، أي مصدر ما يتصف به من إلزام يظهر في صورة أوامر قاطعة .

وإذا نظرنا مرة أخرى إلى نشأة الأنا الأعلى كما وصفناها سابقاً ، لأدركنا أنه يحدث نتيجة عاملين هامين جداً ، أحدهما عامل بيولوجي والآخر عامل تاريخي : أي أنه يحدث نتيجة الفترة الطويلة التي يقضيها الإنسان في حالة ضعف واعتماد على الغير أثناء طفولته ، ونتيجة عقدة أوديب التي بينا أن لكبتها علاقة بظهور مرحلة الكمون[1] التي تعطل

(1) [يرى فرويد ان الحياة الجنسية لا تبدأ عند البلوغ فقط وإنما تبدأ عقب الولادة مباشرة . وهي تمر أثناء نموها بمراحل مختلفة . المرحلة الأولى هي المرحلة الفمية Oral phase وهي تتميز بحصول الطفل على اللذة من منطقة الفم . (انظر هامش ٢ ص ٤٨) . والمرحلة الثانية هي المرحلة الاستية Anal phase وتبدأ حوالي نهاية العام الأول . وتتميز هذه المرحلة بحصول الطفل على اللذة عن طريق وظيفة التبرز ، كما تظهر فيها بوضوح ميول الطفل العدوانية . والمرحلة الثالثة هي المرحلة القضيبية phallic phase وتبدأ في السنة الثانية أو الثالثة وهي تتميز ببدء اهتمام الطفل بعضو الذكر التناسلي . وفي هذه المرحلة تبلغ الحياة الجنسية عند الطفل ذروتها ، وفيها تقع المرحلة الأوديبية ، إذ يأخذ الطفل يشعر بالميل الجنسي =

نمـو الليبدو ، وبظهور النشاط المزدوج الذي تتميز به الحياة الجنسية عند الإنسان[1] . وهذه الظاهرة الأخيرة التي يبدو أنها خاصة بالإنسان وحده إنما هي ، تبعاً لرأي أحد المحللين النفسيـين ، شيء قد ورثناه عن التطور الحضاري الذي تم أثناء العصر الجليدي . وهكذا نرى أن تمايز الأنا الأعلى عنِ الأنا لم يحدث بالصدفة ، وإنما هو أمر يمثل أهم الحوادث التي مرَّ بها نمـو كل من الفرد والنوع . وحقاً إن الأنا الأعلى بقيامه دائماً بتمثيل سلطة الوالدين إنما يعمل على إبقاء وجود العوامل التي يدين لها بوجوده .

لقد عيب على التحليل النفسي المرة بعد الأخرى أنه يهمل الجانب السامي والخلقي والروحي من الطبيعة الانسانية . ولا شك أن هذا الإتهام غير عادل سواء من الناحية التاريخية أو من الناحية المنهجية . فأولاً ، لقد قمنا منذ البداية بإرجاع وظيفة التحريض على الكبت إلى النزعات الخلقية والجمالية في الأنا . وثانياً ، لقد رفض الناس بوجه عام أن يدركوا أنه لم يكن من الممكن أن تؤدي أبحاث التحليل النفسي إلى نظرية كاملة ونهائية ، كما هو الشأن في مذهب فلسفي ، وإنما كان على التحليل النفسي

= نحو أمه ويكره أباه . وينتهي الأمر بالوالدين إلى تهديد الطفل بالخصاء ، ويؤدي ذلك إلى قيام الطفل بكبت عقدة أوديب ، ويمهد ذلك لحلول المرحلة الرابعة وهي مرحلة الكمون Latency period وتبدأ عادة حوالي السنة الخامسة أو السادسة وتستمر حتى البلوغ . وفي مرحلة الكمون يهدأ النشاط الجنسي عند الطفل ، وتأخذ طاقته الجنسية تنصرف نحو كثير من أنواع النشاط غير الجنسي . (انظر « معالم التحليل النفسي » لفرويد ترجمة محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الخامسة ، الفصل الثالث ، أنظر أيضاً « ثلاث رسائل في نظرية الجنس » لفرويد ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٢ ، الرسالة الثانية)] . (المترجم) .

(١) [تتميز الحياة الجنسية عند الإنسان بأنها تظهر على مرحلتين ، مرحلة الطفولة ومرحلة المراهقة ، وتقع مرحلة الكمون بين هاتين المرحلتين . وليس لهذه الحالة نظير عند سائر الحيوانات] . (المترجم) .

أن يتلمس سبيله خطوة إثر خطوة نحو فهم دقائق العقل تحت ضوء التشريح التحليلي لكل من الظواهر السويّة والشاذة . وما دامت مهمتنا هي دراسة الجزء المكبوت من الحياة العقلية ، فلا حاجة بنا لأن نشعر بأي خوف شديد بخصوص وجود الجانب السامي من الإنسان . ولكن بما أننا قد قمنا الآن بتحليل الأنا فإننا نستطيع أن نجيب على كل هؤلاء الذين شعروا بأن إحساسهم الخلقي قد صدم ، والذين اعترضوا علينا قائلين بأنه لا شك من وجود طبيعة سامية في الإنسان . ونستطيع أن نقول « إن هذا صحيح جداً ، وإن هذه الطبيعة السامية لتتمثل في هذا الأنا المثالي أو الأنا الأعلى ، وهو الذي يمثل علاقتنا بوالدينا . وقد عرفنا هذه الكائنات السامية حينما كنا أطفالاً صغاراً ، وقد أعجبنا بها وخشيناها ، ثم بعد ذلك تمثلناها في أنفسنا » .

فالأنا المثالي هو إذن وريث عقدة أوديب ، ولذلك فهو أيضاً نتيجة أقوى الدوافع وأهم التقلبات اللبيدية في الهو . وبتكوين هذا الأنا المثالي يقوم الأنا بالتغلب على عقدة أوديب ، كما يقوم في نفس الوقت بوضع نفسه تحت سلطة الهو . فبينما يقوم الأنا على الأخص بتمثيل العالم الخارجي ،أي الواقع ، يقوم الأنا الأعلى على العكس من ذلك بتمثيل العالم الداخلي ، أي الهو . ونحن الآن على استعداد لكي نفهم أن الصراع الذي ينشب بين الأنا والأنا المثالي ، إنما هو يعكس في نهاية الأمر الخلاف بين ما هو واقعي وما هو نفسي ، أي بين العالم الخارجي والعالم الداخلي .

ويقوم الأنا عن طريق تكوين الأنا المثالي باستعادة جميع الآثار الباقية في الهو عن التطورات البيولوجية والتغيرات التي مر بها النوع الإنساني ، ثم يمر بها مرة أخرى في حياة كل فرد . ويترتب على الطريقة التي يتكون بها الأنا المثالي أن تكون له علاقات كثيرة باستعدادات الفرد التي تكونت أثناء نشوء النوع ، أي بتراثه الفطري . وهكذا نرى أن ذلك الجزء المتعلق

بالأعماق البعيدة الغور لحياتنا العقلية قد تحول ، عن طريق تكوين الأنا المثالي ، إلى ما نعتبره أسمى ما في النفس الإنسانية ، وفقاً لمقياسنا للقيم . وإنه لمن العبث أن نحاول تحديد مركز الأنا المثالي ، ولو حتى بنفس الطريقة التي حددنا بها مركز الأنا ، أو أن نقوم بذكر بعض المقارنات التي حاولنا بمعونتها أن نصور العلاقة بين الأنا والهو .

ومن السهل أن نبين أن الأنا المثالي إنما يكوّن من جميع الوجوه ما ينتظر من طبيعة الإنسان السامية . فمن حيث أنه بديل لشوقه نحو الأب ، فهو يحوي على الأصل الذي منه نشأت جميع الأديان . وإن حكم النفس بأن الأنا قد فشل في تحقيق ما هو مثالي عنده ، إنما يحدث الإحساس بعدم الجدارة ، وهو الإحساس الذي يثبت به المتدين شوقه . وعندما يكبر الطفل تنتقل سلطة الأب إلى المدرسين وإلى الأشخاص الآخرين ذوي النفوذ ، وتظل سلطة أوامرهم ونواهيهم باقية في الأنا المثالي ، وهي تستمر تزاول رقابتها الخلقية في صورة الضمير . والتوتر الذي ينشأ بين مطالب الضمير وبين ما يقوم به الأنا بالفعل إنما يدرك كأنه إحساس بالذنب . وتعتمد المشاعر الاجتماعية على تقمص شخصيات الآخرين ، على أساس الحصول على نفس الأنا المثالي .

إن الدين والأخلاق والشعور الاجتماعي – وهي العناصر الأساسية لما هو أسمى ما في الإنسان[1] – إنما كانت في الأصل شيئاً واحداً . وقد اكتسبت هذه الأشياء ، تبعاً للفرض الذي وضعته في كتاب «الطوطم والمحرم» ، عن عقدة الأب[2] أثناء نشوء النوع الإنساني : فاكتسب الدين

(١) إني أضع الآن العلم والفن في جانب واحد .

(٢) [يضع فرويد في كتابه «الطوطم والمحرم» Totem and Taboo فرضاً مؤداه أن الإنسان كان يعيش في الماضي السحيق في قبيلة بدائية يتزعمها أب قوي وغيور . وقد استحوز هذا الأب القوى على جميع نساء القبيلة وأبعد أبناءه الناشئين الذين كانوا يحبون ويعجبون به ، كما كانوا في نفس الوقت يخشونه ويبغضونه لأنه كان يقف عقبة في سبيل إشباع رغباتهم =

والوازع الخلقي عن العملية الحقيقية للتغلب على عقدة أوديب نفسها ، واكتسِب الشعور الاجتماعي عن ضرورة التغلب على المنافسة التي ظلت حينذاك باقية بين أعضاء الجيل الناشيء[1] . ويبدو أن الرجال هم الذين سبقوا

= الجنسية . ومن هذا الموقف المشبع بالتناقض الوجداني ambivalence نشأت « عقدة الأب » father complex عند الأبناء ، وهي عقدة أوديب الأصلية التي تكونت في بداية نشوء النوع الإنساني . وقد تجمع هؤلاء الأبناء المبعدون فيما بعد وقتلوا أباهم وأكلوه . وقد حققوا بأكلهم لأبيهم رغبة كان يشعر بها كل منهم وهي الرغبة في « تقمص شخصية الأب » . ثم أخذت دوافع الحب نحو الأب المقتول تظهر بعد ذلك بوضوح ، وأخذ الأبناء يندمون على الذنب الذي اقترفوه . وقد دفعهم « الإحساس بالذنب » إلى وضع قواعد وقوانين فيما بينهم تحرم عليهم ما سبق أن حرمه عليهم الأب المقتول . وهذا هو منشأ « تحريم زواج المحارم » incest taboo الذي يقول به المحللون النفسيون . ثم أقام الأبناء لأنفسهم أباً بديلاً أو رمزياً يسمى « الطوطم » ، وأخذوا يقدسونه ويحمونه ويحرمون قتله كوسيلة لتخفيف حدة شعورهم بالذنب . ويكون « الطوطم » عادة حيواناً أو نباتاً أو قوة طبيعية كالماء والهواء . ومن مميزات النظام الطوطمي التي استرعت انتباه المحللين النفسيين تحريم الاتصال الجنسي ، أي تحريم الزواج بين أفراد القبيلة الذين ينتمون إلى طوطم واحد . فالنظام الطوطمي يقتضي كبت الميل الجنسي الذي يشعر به أفراد القبيلة نحو نساء القبيلة خوفاً من وقوع القصاص الذي يحل بهم إذا انتهكوا هذه الحرمة . وقد وجد المحللون النفسيون في ذلك مشابهة كبيرة وسابقة تاريخية لما اكتشفوه من وجود الميل الجنسي عند الأطفال الذكور نحو أمهاتهم ، وعند الأطفال البنات نحو أبائهن ، وبين الأخ والأخت . ويلجأ الأطفال عادة إلى كبت ميولهم الجنسية خوفاً من عقاب الوالدين وهذا هو ما يعرف عادة « بعقدة أوديب » انظر هامش ١ ص ٥٣] . (المترجم) .

(١) [يرى فرويد في « عقدة أوديب » الأصلية وفي النظام الطوطمي الذي نشأ نتيجة لها أهمية اجتماعية كبيرة . فهو يعتبر عقدة أوديب الأساس الذي قامت عليه الأنظمة الاجتماعية والدين والأخلاق . فنشأت الأنظمة والنواهي وما تتضمنه من شعور اجتماعي للقضاء على المنافسة بين الأبناء بعد قتل الأب . ولولا وضعهم لهذه الأنظمة والنواهي لتقاتل الأبناء فيما بينهم ، ولأدى ذلك إلى انقراض المجتمع الإنساني . ونشأ الدين عن الشعور بالذنب وتأنيب الضمير . كما نشأت الأخلاق عن الرغبة في التكفير والاستغفار عن هذا الذنب المشترك ، ومن الواضح أن رأي فرويد في نشأة الدين والأخلاق غير مقبول . وهو ليس إلا افتراضاً خيالياً لا يستند إلى أية أدلة تاريخية أو علمية أو منطقية] . (المترجم) .

إلى تكوين هذه المكتسبات الخلقية ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى النساء عن طريق الوراثة . ولا تزال المشاعر الاجتماعية تنشأ في الفرد حتى اليوم كبناء خارجي يقوم على أساس دوافع الغيرة من أشقائه وشقيقاته ودوافع التنافس معهم . وبما أنه لا يمكن إشباع دافع العداء ، فإنه ينشأ عن ذلك تقمص شخصية المنافس الأول . وتؤكد دراسة الحالات الخفيفة من الجنسية المثلية أن التقمص في هذه الحالة أيضاً إنما هو بديل لحب الموضوع الذي حل محل الاتجاه العدائي العدواني [1] .

وذكرنا لنشوء النوع إنما يثير مشاكل جديدة تجعل الإنسان يرتد عنها خائفاً . ولكن لا مفر من ذلك ، ومن الواجب أن نحاول حل هذه المشاكل ، بالرغم من أننا نخشى أن يؤدي ذلك إلى إظهار عدم صلاحية جميع البناء الذي أقمناه بكل مشقة . وهذه هي المشكلة : أي هذين الشيئين ، الأنا أم الهو عند الرجل البدائي ، قد اكتسب الدين والأخلاق عن عقدة الأب في تلك الأيام الأولى ؟ فإذا كان ذلك هو الأنا ، فلماذا لا نقول ببساطة أن الأنا قد ورث هذه الأشياء ؟ وإذا كان ذلك هو الهو ، فكيف يتفق ذلك مع طبيعة الهو ؟ وهل نحن مخطئون في إرجاع التمييز بين الأنا والأنا الأعلى والهو إلى مثل هذه الأزمنة البعيدة ؟ أو أليس من الواجب أن نعترف بأمانة بأن جميع فكرتنا عن العمليات التي تجري في داخل الأنا إنما هي عديمة الفائدة في فهم نشوء النوع ، كما أنها لا يمكن أن تنطبق عليه ؟ .

دعنا نجيب أولاً على ما هو سهل الإجابة . من الواجب ألا ننسب التمييز بين الأنا والهو إلى الرجل البدائي فقط ، بل أيضاً إلى صور الحياة الأخرى الأكثر بساطة ، لأن ذلك هو النتيجة الحتمية لتأثير العالم

(١) Group Psychology and the Analysis of the Ego" and "Certain Neurotic Mechanisms in Jealous, Paranoia and Homosexuality" (1922), Collected Papers, vol. 2.

الخارجي . فقد نشأ الأنا الأعلى بالفعل ، على حسب الفرض الذي وضعناه ، عن الخبرات التي أدت إلى الطوطمية[1] . وسيبدو لنا سريعاً أنه لم يعد هناك معنى لأن نتساءل هل الأنا أم الهو هو الذي خبر هـذه الأشياء واكتسبها . إذ يدلنا التفكير في الحال إلى أن الهو لا يستطيع أن يشعر أو يقبل أي تغيرات خارجية إلا عن طريق الأنا الذي يقوم بتمثيل العالم الخارجي في الهو . ومع ذلك فليس من الممكن أن نتكلم عـن وراثة الأنا لهذه الأشياء وراثة مباشرة . وهنا تبدو الهوة بين الفرد المتحقق ومفهـوم النـوع واضحة . وفضلاً عن ذلك ، فلا ينبغي أن نأخذ الفرق بين الأنا والهـو بمعناه الجامد الدقيق ، كما لا ينبغي أن ننسى أن الأنا قسم من الهو قد تميز بصفة خاصة . ويبدو في أول الأمر أن الخبرات التي يكتسبها الأنا إنما تضيع في الذرية التي تأتي بعده . ولكن لما كانت هذه الخبرات قد تكررت كثيراً جداً وبشدة كافية بين أفراد الأجيال المتعاقبة ، فإنها قد تحولت ، على حد تعبيرنا ، إلى خبرات موجودة في الهو يكون أثرها محفوظاً بالوراثة . وهكذا يقوم الهو ، وهو شيء يمكن وراثته ، بحفظ الآثار التي تخلفت عن حياة عدد لا حصر له من « الأنوات »[2] (أو الذوات) السابقة . وربما يكون قيام الأنا بتكوين الأنا الأعلى من الهو ليس إلا إحياء لصور « الأنوات » السابقة وبعثاً لها من جديد .

إن الطريقة التي نشأ بها الأنا الأعلى لتبين كيف يمكن للصراع القديم الذي نشب بين الأنا وبين الشحنات النفسية الصادرة عن الهو نحو الموضوع أن يبقى ويستمر في الصراع الذي ينشب مع وريث هـذه الشحنات النفسية ، وهو الأنا الأعلى . فإذا لم يكن الأنا قد نجح في التغلب على عقدة أوديب تغلباً تاماً ، لوجدت طاقتها القوية المنبعثة عن الهو منفذاً

---

(١) Totemism

(٢) egos

لها في تكوينات رد الفعل[1] التي يقوم بها الأنا المثالي . وإن مجرد الاتصال الحر الممكن بين الأنا المثالي وبين هذه النـزعات الغريزية اللاشعورية لتوضح كيف أنه من الممكن أن يكون الأنا المثالي نفسه لاشعورياً وبعيداً عن متناول الأنا إلى درجة كبيرة . فالصراع الذي نشب في الماضي في طبقات العقل العميقة ، والذي لم يوضع له حد بالإعلاء والتقمص السريعين ، إنما يجري الآن في طبقة مرتفعة مثل معركة الهنز[2] التي تبدو في رسم كولباخ Kaulpach كأنها دائرة في السماء .

---

(١) [انظر هامش ٣ ص ٥٧] . (المترجم) .

(٢) The Battle of the Huns

الفصل الرابع

مجموعتان من الغرائز

لقد سبق أن قلنا إنه إذا كان تمييزنا في العقل بين الهو والأنا والأنا الأعلى يمثل أي تقدم في معرفتنا ، فمن الواجب أن يمكننا ذلك من فهم العلاقات الديناميـــة في داخل العقل فهماً دقيقاً ، ومن وصفها وصفاً واضحاً . ولقد سبق أيضاً أن انتهينا إلى هذه النتيجة وهي أن الأنا إنما يتأثر على وجه خاص بالإدراك الحسي ، وأنه من الممكن أن نقول ، على وجه عام ، إن أهمية الإدراكات الحسية بالنسبة إلى الأنا تماثل أهمية الغرائز بالنسبة إلى الهو . ويخضع الأنا في نفس الوقت لتأثير الغرائز أيضاً كالهو ، فليس الأنا في الواقع إلا جزءاً من الهو قد تحول بصفة خاصة .

ولقد كوّنت أخيراً رأياً في الغرائز [1] ، وإني سوف أتمسك هنا بهذا الرأي ، كما أني سأتخذه أساساً لمواصلة المناقشة في هذا الموضوع . ويجب أن نميز تبعاً لهذا الرأي بين مجموعتين من الغرائز . وأولى هاتين المجموعتين وهي إيروس [2] أو الغرائز الجنسية أكثر وضوحاً وأسهل تناولاً للدراسة .

---

(١) « ما فوق مبدأ اللذة » .

(٢) [« إيروس Eros هو إله الحب في الأساطير اليونانية . وقد استعمل فرويد هذا اللفظ بمعنى « غريزة الحب » ، وهي تتضمن مجموعتين من الغرائز . المجموعة الأولى هي الغرائز الجنسية التي تتطلب اللذة الجنسية (الليبدو). والمجموعة الثانية هي غرائز الأنا Ego-instincts وهي التي تشرف على حفظ الذات ، وتستعمل كلمة « إيروس » أحياناً بمعنى الغريزة الجنسية أو الطاقة الجنسية] . (المترجم) .

وهي لا تشمل فقط الغريزة الجنسية الحقيقية التي لم يتناولها الكف ، والدوافع الغريزية المشتقة منها والتي قد تناولها الإعلاء أو الكف ، وإنما تشمل أيضاً غريزة حفظ الذات التي يجب أن تنسب إلى الأنا ، والتي كانت لدينا في ابتداء أبحاثنا التحليلية مبررات قوية لوضعها في مقابل الغرائز الجنسية . أما المجموعة الثانية من الغرائز فلم يكن وصفها أمراً سهلاً ، ولكننا انتهينا إلى اعتبار السادية[1] ممثلة لهذه المجموعة . وقد اقتضت بعض الاعتبارات النظرية التي أيدها علم البيولوجيا أن نفترض وجود غريزة الموت[2] ، ومهمتها إعادة الحياة العضوية إلى حالة غير حية . ولقد افترضنا من جهة أخرى أن إيروس يهدف إلى تعقيد الحياة بقيامه باستمرار بتوحيد الذرات التي تفتتت إليها المادة الحية ، وهو بذلك إنما يهدف في نفس الوقت إلى استمرار الحياة . وتعتبر كلتا الغريزتين بعملهما بهذه الطريقة محافظتين بأدق معاني هذه الكلمة ، إذ أنهما تحاولان أن تعيدا الحالة السابقة لظهور الحياة . وهكذا يعتبر ظهور الحياة السبب في استمرار الحياة ، كما أنه يعتبر أيضاً السبب في السعي نحو الموت ؛ وتصبح الحياة نفسها صراعاً وحلاً توفيقياً بين هذين الاتجاهين . وسيظل مصدر الحياة مشكلة تتعلق بخلق العالم ، أما مشكلة الغرض من الحياة وهدفها فمن الممكن أن نجيب عليها إجابة مزدوجة .

وتكون كل من هاتين المجموعتين من الغرائز ، تبعاً لهذا الرأي ، مرتبطة بعملية فسيولوجية خاصة (عملية البناء[3] ، أو عملية الهدم[4]) .

---

(١) [السادية Sadism نوع من الإنحراف الجنسي يتميز بالحصول على اللذة الجنسية من إيلام الناس وتعذيبهم . ولفظ سادية مشتق من اسم الماركيز دي ساد Marquis De Sade أحد الكتاب الفرنسيين ، وقد اشتهر بتصويره لشخصيات منحرفة تميل إلى الحصول على اللذة الجنسية من وراء تعذيب الناس وإيلامهم] . (المترجم) .

(٢) death instinct

(٣) Anabolism

(٤) Catabolism

وتعمل كل من الغريزتين في كل ذرة من ذرات المادة الحية ، ولكن بنسب مختلفة ، ولذلك كان من الممكن أن يصبح جزء معين من المادة الممثل الرئيسي لإيروس .

ولا يلقي هـذا الفرض ضوءاً على الكيفية التي تكـون بها هاتان المجموعتان من الغرائز متحدتين ومختلطتين وممتزجتين الواحدة بالأخرى . أما إن ذلك يحدث بانتظام وبكثرة بالغة فهو فرض ضروري في تصورنا . ويبدو أنه من الممكن أن يحدث نتيجة لتجمع الكائنات الحية ذات الخلية الواحدة في كائنات حية كثيرة الخلاية أن يبطل فعل غريزة الموت الخاصة بالخلية الواحدة بطلاناً تاماً ، وأن يحول اتجاه دوافع الهدم نحو العالم الخارجي بوساطة عضو خاص . ويبدو أن هذا العضو الخاص هو الجهاز العضلي ، وهكذا يبدو أن غريزة الموت قد أصبحت غريزة هدم[١] متجهة نحو العالم الخارجي والكائنات العضوية الأخرى ، غير أنه من المحتمل أن يتم ذلك بطريقة جزئية فقط .

وما دمنا قد سلمنا بفكرة اتحاد هاتين المجموعتين من الغرائز ، فلا بد لنا من أن نسلم أيضاً باحتمال انفصالهما الواحدة عن الأخرى انفصالاً كاملاً أو جزئياً . ويعتبر العنصر السادي من الغريزة الجنسية مثالاً نموذجياً للاتحاد الغريزي الذي يؤدي خدمة مفيدة ؛ كما يعتبر الانحراف الذي تصبح فيه السادية مستقلة بنفسها مثالاً نموذجياً للانفصال ، ولو أنه ليس انفصالاً كاملاً . وتتضح لنا من هذه النقطة مجموعة كبيرة من الحقائق التي لم تكن واضحة لنا من قبل . فنحن ندرك أن غريزة الهدم إنما تقوم في العادة بخدمة إيروس في أغراض التفريغ ؛ وإنا نظن أن نوبة الصرع[٢]

(١) Instinct of destruction

(٢) [الصرع epilepsy عرض مرضي يتميز بحدوث تشنجات في عضلات البدن تستمر عدة دقائق ثم يعقبها سبات عميق . وللصرع نوعان : صرع أصلي أو أولي genuine or idiopathic epilepsy ، وصرع عرضي symptomatic epilepsy . والصرع الاصلي أو =

إنما هي نتيجة لانفصال الغرائز ودلالة عليه ؛ كما أننا قد بدأنا نفهم أيضاً أن انفصال الغرائز والظهور الواضح لغريزة الموت إنما هما من أهم النتائج التي يسببها كثير من الأمراض العصابية الشديدة مثل الأمراض العصابية القهرية[1] . وقد نقوم بتعميم سريع فنظن أن حقيقة نكوص اللبيدو – أي نكوصه من المستوى التناسلي إلى المستوى الإستي السادي[2] – إنما ترجع إلى انفصال الغرائز ، كما أن الانتقال من مرحلة جنسية مبكرة إلى المرحلة التناسلية الصحيحة ، على العكس ، إنما يتوقف على زيادة العناصر الجنسية . وتعرض لنا أيضاً هذه المشكلة وهي : أليس من الواجب أن نعتبر التناقض الوجداني العادي الذي غالباً ما يكون شديداً إلى درجة غير عادية في الاستعداد المزاجي للعصاب كأنه نتيجة لانفصال الغرائز ؟ وعلى أية حال فإن التناقض الوجداني ظاهرة أساسية ، ولذلك فمن المحتمل جداً أنه ينتج عن حالة اتحاد غريزي غير كامل .

ومن الواجب علينا الآن بطبيعة الحال أن نوجه اهتمامنا إلى البحث عما

= الأولي ، على حسب معلوماتنا الحاضرة ، ناشئ عن أسباب نفسية وليس ناشئاً عن علة عضوية . أما الصرع العرضي فله علة عضوية .
ويطلق أحياناً على الصرع الذي تحدث فيه تشنجات في عضلات البدن بالصرع الكبير grand mal epilepsy تمييزاً له عن حالات أخرى من الصرع الذي يعرف بالصرع الصغير petit mal epilepsy وفيه تفقد الذاكرة أو الشعور لبضع ثوان فقط بدون أن يسقط الشخص على الأرض] . (المترجم) .

(١) [الأمرض العصابية القهرية obsessional neuroses هي حالات الاضطراب النفسي التي تتميز بتسلط الوساوس والشكوك والمخاوف على ذهن المريض ، أو بقيام المريض ببعض الحركات غير الإرادية . ومن أمثلة ذلك تسلط فكرة القتل أو الانتحار مثلاً على ذهن المريض ، أو غسل اليدين عدة مرات بدون مبرر] . (المترجم) .

(٢) [Anal sadistic المستوى الاستي هو المرحلة الثانية من مراحل نشوء الوظيفة الجنسية (انظر هامش ١ ص ٥٨) . والسادية هي الحصول على اللذة من إيلام الغير (انظر هامش ١ ص ٦٧) . وتسمى المرحلة الإستية أيضاً بالمرحلة الإستية السادية لأن ميل الطفل إلى العدوان يظهر بوضوح في أثناء هذه المرحلة] . (المترجم) .

إذا كانت توجد هناك علاقات هامة تحتاج إلى دراسة بين الأبنية التي افترضنا وجودها ـ الأنا والأنا الأعلى والهو ـ وبين مجموعتي الغرائز . وفضلاً عن ذلك فمن الواجب أن نبحث أيضاً عما إذا كان من الممكن أن يكون لمبدأ اللذة الذي يسود العمليات العقلية أية علاقة ثابته بهاتين المجموعتين من الغرائز وبهذه الأقسام التي كوناها في العقل . ولكن قبل أن نناقش ذلك يجب أن نقوم بتوضيح بعض الغموض الذي ينشأ بخصوص عناصر هذه المشكلة نفسها . أما بخصوص مبدأ اللذة فلا يوجد هناك أي شك ، وكذلك توجد لدينا مبررات إكلينيكية قوية لوجود أقسام في العقل . غير أن التمييز بين مجموعتي الغرائز لا يبدو مؤكداً تأكيداً كافياً ، ومن المحتمل أن تأتي حقائق التحليل الإكلينيكي مخالفة لذلك .

ويبدو أنه توجد هناك حقيقة من هذا النوع . دعنا الآن نوجه اهتمامنا إلى التضاد القائم بين الحب والكره بدلاً من التضاد القائم بين هاتين المجموعتين من الغرائز . (لا توجد صعوبة في إيجاد ما يمثل إيروس ، ولكن يجب أن نشعر بالغبطة لاستطاعتنا العثور على ممثل لغريزة الموت التي تصعب ملاحظتها ، نجده في غريزة الهدم التي يقوم الكره بتمهيد السبيل لها) . وتبين الملاحظة الإكلينيكية الآن أن الحب يكون دائماً مصحوباً بالكره (التناقض الوجداني) بشكل لم يكن متوقعاً ، وأن الكره غالباً ما يكون مقدمة للحب في العلاقات الإنسانية . ولا تبين الملاحظة الإكلينيكية ذلك فحسب ، بل إنها تبين أيضاً أنه كثيراً ما يتحول الكره إلى حب ، والحب إلى كره . فإذا كان هذا التحول شيئاً أكثر من مجرد التعاقب الزمني ، لأصبح من الواضح إذن أنه لا يوجد دليل لذلك التمييز الأساسي بين غرائز الحب وغرائز الموت ، وهو التمييز الذي يقتضي وجود عمليات فسيولوجية متعارضة .

من الواضح الآن أنه لا توجد أية علاقة بين مشكلتنا وبين الحالة

التي نجد فيها شخصاً ما يحب أولاً شخصاً آخر ثم يكرهه بعد ذلك (أو العكس) لأن ذلك الشخص قد أعطاه سبباً لفعل ذلك . كما أنه لا توجد أية علاقة بين مشكلتنا وبين الحالة الأخرى التي نجد فيها مشاعر الحب التي لم تتضح بعد قد أخذت تعبر عن نفسها في أول الأمر باتجاهات الخصومة والعدوان . فمن المحتمل هنا أن تكون العناصر الخاصة بغريزة الهدم في الشحنة النفسية المتجهة نحو الموضوع قد سبقت العناصر الخاصة بغريزة الحب ، وأن عناصر الحب قامت فيما بعد باللحاق بعناصر الهدم . ولكننا نعلم حالات كثيرة في علم نفس الأمراض العصابية التي نجد فيها من المبررات القوية ما يجعلنا نفترض حدوث التحول . ففي مرض البارانويا الاضطهادية[1] يتخذ المريض طريقة خاصة للدفاع عن نفسه ضد رغبة جنسية مثلية شديدة للغاية متجهة نحو شخص معين ، بحيث ينجم عن ذلك أن يتحول الشخص الذي كان موضوع الحب الشديد إلى شخص مضطهد ، ثم يصبح بعد ذلك موضوعاً لدوافع المريض العداونية التي غالباً ما تكون خطيرة . ونجد هنا مبررات تجعلنا نفترض وجود مرحلة سابقة يتحول فيها الحب إلى كره . وقد بين البحث التحليلي أخيراً أن مصدر الجنسية المثلية[2] ، وكذلك المشاعر الاجتماعية غير الجنسية ، إنما تشمل مشاعر التنافس الشديدة جداً التي تؤدي إلى نزعات عدوانية يعقبها ، بعد أن يتم التغلب عليها ، حب الموضوع الذي كان يُكرَه سابقاً ، أو تقمص شخصيته . والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو هل يجب أن

---

(١) [البارانويا الاضطهادية persecutory paranoia ذهان تتسلط فيه على المريض أوهام تتعلق بتعقب الناس له ومحاولتهم إيذاءه والاعتداء عليه . وغالباً ما يصاحب هذه الأوهام بعض حالات الهذاء والهلوسة] . (المترجم) .

(٢) [الجنسية المثلية homosexuality هي الميل الجنسي إلى أفراد الجنس المماثل ، كميل الرجل إلى الرجل ، أو ميل المرأة إلى المرأة] . (المترجم) .

نفترض في هذه الحالات أن الكره قد تحول تحولاً مباشراً إلى الحب ؟ ومن الواضح أن التحولات التي تحدث هنا إنما هي داخلية بحتة ، وأن ما يطرأ من التغير على سلوك الشخص الذي يكون موضوع هذه المشاعر ليس له دخل في هذه التحولات .

وعلى كل حال ، فهناك حيلة عقلية[1] أخرى ممكنة استطعنا معرفتها بالدراسة التحليلية للعمليات الخاصة بالتحول الذي يحدث في البارانويا . فهناك اتجاه للتناقض الوجداني موجود منذ البداية ، ويحدث التحول عن طريق نقل الشحنة النفسية على سبيل رد الفعل . وبهذا التحول تنسحب الطاقة من دافع الحب وتنضم إلى دافع العدوان .

ولا يحدث نفس الشيء تماماً وإنما يحدث شيء شبيه به حينما يقهر الاتجاه التنافسي العدواني المؤدي إلى الجنسية المثلية . فليس للاتجاه العدواني أمل في الإشباع ، وينتج عن ذلك – كإجراء اقتصادي – أن يستبدل بالاتجاه العدواني اتجاه الحب الذي يكون هناك أمل أكبر في إشباعه ، أي في إمكان تفريغه . وهكذا نرى أننا لسنا مضطرين في أي هاتين الحالتين إلى افتراض أن الكره يتحول تحولاً مباشراً إلى الحب ، وهو فرض لا ينطبق مع ما يوجد من تمييز في الكيفية بين مجموعتي الغرائز .

ويبدو أننا بإدخال هذه الحيلة العقلية الأخرى في اعتبارنا والتي بها يمكن أن يتحول الحب إلى كره قد قمنا بطريقة ضمنية بوضع فرض آخر ، وهو فرض يستحق أن نذكره بصراحة . فقد اعتبرنا كأنه توجد في العقل – سواء في الأنا أو في الهو – طاقة قابلة للنقل تكون في ذاتها محايدة ، ولكنها تستطيع أن تنضم إلى دوافع الحب أو دوافع الهدم ، وبذلك تتغير كيفيتها تبعا لاختلاف كيفية هذه الدوافع ، وتعمل على زيادة مقدار شحنتها النفسية الكلية . ونحن لا نستطيع أن نتقدم أية خطوة إلى

(١) mechanism حيلة عقلية أو آلية .

الأمام بدون أن نفترض وجود طاقة قابلة للنقل من هذا النوع . والسؤال الوحيد الذي يتبادر إلى الذهن هو : من أين تأتي هذه الطاقة ، وما هو مصدرها ، وما هي دلالتها ؟ .

إن مشكلة كيفية الدوافع الغريزية واستمرارها أثناء جميع تقلباتها لا زالت غامضة جداً ، ولم يحاول أحد حلها حتى الآن . ونحن نستطيع أن نلاحظ في الغرائز الجزئية الجنسية ، التي تسهل ملاحظتها على وجه خاص ، أثر بعض العمليات التي تماثل هذه العمليات التي نتكلم عنها . فنحن نرى مثلاً أنه يوجد نوع من الاتصال بين الغرائز الجزئية ، وأن الغريزة المنبعثة من أحد المصادر الشبقية المعينة تستطيع أن تستخدم قوتها في مساعدة غريزة جزئية أخرى منبعثة من مصدر آخر ، وأن إشباع إحدى الغرائز يمكن أن يحل محل إشباع غريزة أخرى ، كما نرى حقائق أخرى كثيرة من مثل هذا النوع . ويجب أن تشجعنا كل هـــذه الحقائق على محاولة وضع بعض الفروض .

وفضلاً عن ذلك فإنني لا أقوم في هذه المناقشة الحالية بشيء أكثر من وضع أحد الفروض ، وليس عندي دليل يثبت صحته . ولعل الرأي الصحيح هو أن الطاقة المحايدة القابلة للنقـل والتي يحتمل أن تكون نشيطة في الأنا وفي الهو على السواء إنما تصدر عن الناحية النرجسية من اللبيـدو ، أي أنهـا عبارة عـن إيروس مجـرد من الطاقة الجنسية . (يبدو أن غرائز الحب بصفة عامة أكثر مرونة من غرائز الهدم ، وأكثر منها قابلية للتحول والنقـــل) . وبناء على ذلك فإننا نستطيع بسهولة أن نفترض أن هذا اللبيدو القابل للنقل إنما يقوم بخدمة مبدأ اللذة ليزيل التجمع وليسهل التفريغ . ونذكر بهذه المناسبة أنه من الواضح أن الطريقة التي يتم بها التفريغ غير مهمة ما دام التفريغ قد حدث على أية حال . ونحن نعرف هذه السمة فهي خاصية تتميز بها العمليات الانفعالية التي تجري في الهو . وهي تشاهد في انفعالات الحب حيث نلاحظ عدم

اهتمام غريب بموضوع الحب . ويتضح ذلك بوجه خاص في حالات التحويل[1] التي تحدث أثناء التحليل ، فهي تحدث دائماً مهما كان شخص المحلل . وقد نشر رانك Rank حديثاً بعض الأمثلة الجيدة للطريقة التي يمكن بها توجية أعمال الانتقام العصابية نحو أشخاص آخرين غير الأشخاص الذين يجب الانتقام منهم . ويذكرنا مثل هذا السلوك الذي يصدر عن اللاشعور بالقصة الفكاهية الخاصة بحائكي القرية الثلاثة الذين كان يجب شنق أحدهم لأن الحداد الوحيد بالقرية قد ارتكب ذنباً جسيماً . فمن الضروري أن يقع العقاب حتى ولو وقع على شخص آخر غير المذنب . ولقد شاهدنا لأول مرة أثناء دراستنا لعمل الحلم هذا النوع من التحرر في عمليات النقل التي تقوم بها العملية الأولية[2] . فلقد رأينا في تلك الحالة أن الموضوعات التي لم تكن لها سوى أهمية ثانوية قد أصبحت وسائل للتفريغ كما هو الأمر في الحالة التي نحن بصدد مناقشتها الآن . ويظهر أن من خصائص الأنا أنه أكثر دقة سواء في اختيار الموضوع أو في وسيلة التفريغ .

وإذا كانت هذه الطاقة القابلة للنقـــل عبارة عن لبيدو مجرد من شحنته الجنسية ، فمن الممكن أيضاً أن نصفها بأنها طاقة « متساوية » ، ذلك

---

(١) [Transference يحدث أثناء التحليل النفسي أن يرى المريض في محلله عودة شخصية هامة من شخصيات طفولته أو ماضيه ، ويبدأ يحول نحوه بعض المشاعر والاستجابات التي كانت هذه الشخصية تثيرها فيه . وهذا هو ما يسمى بالتحويل] . (المترجم) .

(٢) [Primary Process . تتبع العمليات التي تجري في اللاشعور أو الهو قوانين تخالف القوانين المنطقية السائدة في منطقة الشعور أو ما قبل الشعور . ففي اللاشعور مثلاً تجتمع المتناقضات دون حرج ، وتستخدم الأضداد كأنها مترادفات . ومن أهم القوانين السائدة في اللاشعور « التكثيف » (وهو تكوين وحدات من عناصر لا يمكن اجتماعها معاً) ، و « النقـــل » (وهو إبدال شيء بشيء آخر مختلف عنه) . ويسمى فرويد هذه القوانين غير المنطقية الموجودة في اللاشعور بالعملية الأولية . أما القوانين المنطقية التي تخضع لها العمليات العقلية الموجودة في الشعور وما قبل الشعور فيسميها فرويد بالعملية الثانوية] . (المترجم) .

لأنها لا زالت محتفظة بغرض إيروس الأساسي – وهو التوحيد والربط – ما دامت تعين في تحقيق هذه الوحدة أو هذا الاتجاه نحو الوحدة ، وهي خاصية يمتاز بها الأنا على وجه خاص . وإذا اعتبرنا العمليات العقلية بمعناها العام داخلة ضمن حالات النقل هذه ، لوجب أن تكون طاقة العمل الفكري نفسه مستمدة بالطبع من مصادر جنسية متسامية .

وننتهي هنا مرة أخرى إلى ذلك الاحتمال الذي سبق أن ناقشناه وهو أن الإعلاء قد يحدث بانتظام عن طريق الأنا . وإنا لنتذكر الحالة الأخرى التي يعالج فيها الأنا الشحنات النفسية الأولى التي تنبعث من الهو نحو الموضوعات (وبالطبع الشحنات التالية أيضاً) بأن يأخذ منها اللبيدو ويضمه إلى نفسه ويربطه بتغير الأنا الذي ينتج عن التقمص . وتحول اللبيدو الجنسي إلى لبيدو خاص بالأنا إنما يتضمن بالطبع التخلي عن الأهداف الجنسية ، أي التجرد من الطاقة الجنسية . وعلى أية حال ، فإن هذا إنما يلقي ضوءاً على إحدى الوظائف الهامة للأنا من حيث علاقته بإيروس . فبحصول الأنا على اللبيدو من الشحنات النفسية المتجهة نحو الموضوعات ، وبجعل نفسه الموضوع الوحيد للحب ، وبتجريد لبيدو الهو من طاقته الجنسية أو بإعلائها فإنه إنما يعمل بذلك ضد الأغراض التي يهدف إليها إيروس ، كما أنه بذلك إنما يضع نفسه في خدمة الدوافع الغريزية المضادة لإيروس . فهو مضطر إلى الاستسلام إلى بعض الشحنات النفسية الأخرى الصادرة عن الهو نحو بعض الموضوعات ، كما أنه مضطر إلى الاشتراك فيها . وسنعود فيما بعد إلى نتيجة أخرى ممكنة لهذا النشاط الذي يقوم به الأنا .

ويبدو أن هذا يتضمن امتداداً هاماً لنظرية النرجسية . في البداية كان جميع اللبيدو متجمعاً في الهو ، وذلك حينما كان الأنا لا يزال في مرحلة التكوين ، أو حينما لم يكن قد استكمل قوته بعد . ثم أخذ الهو يرسل جزءاً من هذا اللبيدو إلى الشحنات النفسية المتجهة نحو موضوع الحب ،

بينما أخذ الأنا – وقد أصبح الآن قوياً – يحاول أن يحصل على هذا الليبدو المتجه نحو الموضوع ، وأن يفرض نفسه على الهو كموضوع للحب . وهكذا نرى أن نرجسية الأنا إنما هي أمر ثانوي قد اكتسب نتيجة ارتداد الليبدو عن الموضوعات .

وفي كل مرة نتتبع فيها أثر الدوافع الغريزية نجد أنها عبارة عن مشتقات لإيروس . ولولا تلك الاعتبارات التي ذكرناها في كتاب « ما فوق مبدأ اللذة » ، ولولا أخيراً تلك العناصر السادية التي انضمت إلى إيروس ، لوجدنا صعوبة في التمسك برأينا الثنائي الأساسي[١] . ولكن بما أننا لا نستطيع أن نتخلى عن هذا الرأي فإننا مضطرون إلى أن نستنتج أن غرائز الموت هي بطبيعتها صامتة ، وأن صخب الحياة إنما يصدر في الغالب عن إيروس[٢] .

ويصدر صخب الحياة أيضاً عن الكفاح ضد إيروس ! وليس من الممكن أن نشك في أن مبدأ اللذة يقوم بخدمة الهو كمرشد له في كفاحه ضد الليبدو ـ وهو القوة التي أدخلت مثل هذه الاضطرابات في الحياة . وإذا كان صحيحاً أن الحياة خاضعة لمبدأ الاتزان الثابت[٣] الذي قال به فيخنر Fechner ، فهي إذن عبارة عن هبوط مستمر نحو الموت ، وتصبح أهداف إيروس ، أي الغرائز الجنسية ، أن تعمل على إيقاف هذا الهبوط في صورة حاجات غريزية ، وأن تعمل على إحداث توترات جديدة . ويقوم الهو بوقاية نفسه ضد هذه التوترات بطرق مختلفة

(١) [يشير بذلك إلى رأيه الذي يذهب إلى وجود غريزتين أساسيتين هما إيروس (أي غريزة الحب) وغريزة الموت] . (المترجم) .

(٢) إننا نرى في الواقع أن غرائز الهدم الموجهة نحو العالم الخارجي قد انحرفت بعيداً عن النفس بفعل إيروس .

(٣) Constant equilibrium

مسترشداً في ذلــك بمبـدأ اللــذة ـ أي بإدراك الكَدَر . وهو يفعل ذلك أولاً بأن يقوم بأسرع ما يمكن بالموافقة على مطالب الليبيدو الجنسي ، أي بالسعي نحو إشباع النزعات الجنسية المباشرة . وهو يفعل ذلك أيضاً وبطريقة أكثر شمولاً فيما يتعلق بنوع معين من الإشباع الذي تتجــه جميع المطالب الجزئية – أعني بذلك تفــريغه للمــواد الجنسية التي هي عبارة عن حامل جيد للتوترات الجنسية . وقذف المواد الجنسية أثناء العملية الجنسية يشبه عــلى نحو ما الانفصال بــين البدن وبروتوبـلازم الجرثومة . وهــذا يفسر الشبه المــوجود بـين الموت والحالة التي تعقب الإشباع الجنسي التام ، كما أنه يفسر حدوث الموت أثناء عملية الاتصال الجنسي عند بعض الحيوانات الدنيا . فهذه الكائنات تموت أثناء عملية الاتصال الجنسي لأن غريزة الموت تجد الحرية الكاملة لتحقيق أغراضها بعد أن يتم طرد إيروس في عملية الإشباع . وأخيراً ، يقوم الأنا ، كما رأينا ، بمعونة الهو في عمله الخاص بالتغلب على التوترات وذلك بإعلائه لبعض الليبيدو من أجل نفسه ومن أجل أغراضه .

الفصل الخامس

خضوع الأنا

لعلنا نجد في تعقيد المادة التي نتناولها بالبحث عذراً يشفع لنا في كون جميع عناوين فصول هذا الكتاب لا تتفق اتفاقاً تاماً مع مضمون هذه الفصول ، وفي اضطرارنا كلما تناولنا نواحي جديدة للمشكلة إلى الرجوع باستمرار إلى موضوعات سبق أن تناولناها من قبل .

يتكون الأنا في الأغلب ، كما سبق أن قلنا ذلك من قبل مراراً ، من التقمصات التي تحل محل الشحنات النفسية التي كانت تصدر عن الهو والتي قد توقفت بعد ذلك . وتتصرف أولى هذه التقمصات دائماً باعتبارها منظمة خاصة في الأنا ، وهي تتميز عن بقية الأنا بأن تتخذ صورة أنا أعلى ، بينما يصبح الأنا فيما بعد حينما ينمو وتشتد قوته أقدر على مقاومة تأثيرات مثل هذه التقمصات . ويرجع الفضل في المكانة الخاصة التي يحتلها الأنا الأعلى في الأنا ، أو بالنسبة إلى الأنا ، إلى عامل يجب أن ننظر إليه من جهتين . فمن الجهة الأولى ، لقد كان الأنا الأعلى أول تقمص ، كما أنه حدث في وقت كان الأنا فيه لا يزال ضعيفاً . ومن الجهة الثانية ، لقد كان الأنا الأعلى وريث عقدة أوديب ، ولذلك فقد ضم إلى الأنا أخطر الموضوعات شأناً . وعلاقة الأنا الأعلى بالتغيرات التي تقع فيما بعد في الأنا إنما تشبه تقريباً علاقة المرحلة الجنسية الأولى في أيام الطفولة بمرحلة النشاط الجنسي المتأخرة بعد البلوغ . ومع أن الأنا الأعلى يكون عرضة لكل تأثير يقع عليه بعد ذلك إلا أنه يستمر طوال حياته يحتفظ بالخلق الذي

اكتسبه عن نشأته عن عقدة الأب[1] ، أي قدرته على الاستقلال عن الأنا وعلى التحكم فيه . فالأنا الأعلى عبارة عن ذكرى فترة الضعف والاعتماد اللتين مر بهما الأنا سابقاً ، وإن الأنا الناضج ليستمر يخضع أيضاً لسلطته . وكما اضطر الطفل مرة إلى إطاعة والديه ، فكذلك يخضع الأنا للأوامر القاطعة التي يصدرها الأنا الأعلى .

ونشأة الأنا الأعلى عن الشحنات النفسية الأولى التي كانت تنبعث عن الهو نحو الموضوعات ، أي عن عقدة أوديب ، إنما تعني لديه شيئاً أهم من ذلك . فهذه النشأة ، كما سبق أن شرحنا ذلك ، إنما تربطه بالمكتسبات التي ورثها الهو أثناء نشوء النوع ، كما تجعله عبارة عن بعث للتطورات التي طرأت على الأنا فيما سبق والتي خلفت لها رواسب في الهو . وعلى ذلك فالأنا الأعلى على اتصال وثيق دائماً بالهو ، كما أنه يقوم بتمثيله في الأنا . وهو يتصل بأعماق الهو ، ولهذا السبب فهو أبعد عن الشعور من الأنا[2] .

ونستطيع أن نقدر هذه العلاقات تقديراً أحسن إذا ما نظرنا إلى بعض الحقائق الإكلينيكية التي قد فقدت طرافتها منذ مدة طويلة ولكنها لا زالت تنتظر المناقشة النظرية .

يوجد هناك بعض الأشخاص الذين يتصرفون أثناء التحليل بطريقة غريبة جداً . فإذا تكلم إليهم أحد متفائلاً ، أو إذا أظهر لهم أحد ارتياحاً لتقدم العلاج أخذوا يظهرون علامات الاستياء ، وأخذت حالتهم بدون

(١) [انظر هامش ٢ ص ٦١] . (المترجم) .

(٢) يمكن أن يقال أن الأنا الذي يقول به التحليل النفسي أو الأنا الميتاسيكولوجي إنما يقف على رأسه مثل الأنا التشريحي ، أي « جنين اللحاء » . [انظر هامش ٢ ص ٤٤] . (المترجم) .

استثناء تزداد سوءاً عما كانت عليه من قبل . وقد يعتبر الإنسان ذلك لأول وهلة كأنه تحدٍ منهم ، وكأنه محاولة لإثبات تفوقهم على الطبيب ، ولكنه يأخذ فيما بعد يدرك حقيقة الموضوع . فيأخذ الإنسان يقتنع بأن هؤلاء الأشخاص لا يستطيعون أن يتحملوا أي ثناء أو تقدير . ولا يقتصر الأمر على ذلك فقط ، بل إنهم قد يستجيبون أيضاً إلى تقدم العلاج استجابة عكسية . فكل حل جزئي كان ينبغي أن يؤدي ، أو قد يؤدي فعلاً عند الناس الآخرين ، إلى شيء من التحسن أو إلى توقف الأعراض توقفاً مؤقتاً ، إنما يؤدي عند هؤلاء الأشخاص إلى اشتداد المرض ، فتزداد حالتهم سوءاً أثناء العلاج بدلاً من أن تتحسن . إنهم يظهرون ما يعرف برد الفعل السلبي للعلاج[1] .

لا شك أنه يوجد شيء ما عند هؤلاء الأشخاص يقوم بمقاومة الشفاء ، ويخشى تقدمه كأنما هو شيء خطير . ونحن معتادون على القول بأن الحاجة إلى المرض قد تفوقت عند هؤلاء الأشخاص على الرغبة في الصحة . فإذا حللنا المقاومة بالطريقة العادية ، وإذا استبعدنا منها أيضاً اتجاه التحدي الموجه ضد الطبيب والتشبث بأنواع الفوائد المختلفة التي يحصل عليها المريض من مرضه ، لوجدنا الجزء الأعظم من هذه المقاومة لا يزال باقياً ، ولاتضح لنا أن هذه المقاومة إنما هي أقوى العقبات جميعها في سبيل الشفاء ، وهي أيضاً أقوى من مثل هذه العقبات المألوفة كحالة النرجسية التي يصعب علاجها ، والاتجاه السلبي نحو الطبيب ، والتشبث بفوائد المرض .

ويتضح لنا في النهاية أننا بصدد شيء قد نسميه عاملاً « خلقياً » ، أي إحساساً بالذنب يجد في المرض نوعاً من التكفير ، ويرفض أن يكف عن تحمل عقاب الآلام . وإنا لمحقون في اعتبار هذا التفسير المثبط للعزم

---

(1) negative therapeutic reaction

كأنه تفسير نهائي . أما فيما يتعلق بالمريض فهذا الإحساس بالذنب غير واضح ، وهو لا يبين للمريض أنه مذنب . فالمريض لا يشعر أنه مذنب ، وإنما يشعر فقط أنه مريض . ويظهر هذا الإحساس بالذنب فقط في صورة مقاومة للشفاء يصعب جداً التغلب عليها . ومن الصعب جداً أيضاً إقناع المريض بأن هذا الدافع يكمن وراء مرضه المستمر ، ويتمسك المريض بالتفسير الذي يبدو له أوضح من غيره وهو أن العلاج بالتحليل ليس هو العلاج الصحيح لحالته[1] .

وينطبق الوصف الذي ذكرناه على الحالات المتطرفة جداً من هذا النوع .. ولكن يجب أن نفكر في هذا العامل تفكيراً أقل من ذلك في

---

(١) ليس الكفاح ضد هذا العائق الذي يضعه الإحساس اللاشعوري بالذنب بالأمر السهل على المحلل . فلا شيء يمكن أن يعمل ضده مباشرة ، كما لا يمكن أن يعمل شيء ضده بطريق غير مباشرة سوى تلك العملية البطيئة الخاصة بالكشف عن أصوله المكبوتة اللاشعورية ، وبتحويله بالتدريج إلى إحساس شعوري بالذنب . وتتاح للمحلل فرصة طيبة للتأثير في هذا الإحساس اللاشعوري بالذنب إذا كان ذلك الإحساس « مستعاراً » ، أي إذا كان ناتجاً عن تقمص شخصية فرد آخر كان ذات مرة موضوع الشحنات النفسية الجنسية . فإذا حدث الإحساس بالذنب بهذه الطريقة ، فإنه يكون في الغالب الأثر الوحيد الباقي لعلاقة الحب القديمة ، وليس من السهل على الإطلاق أن يدرك على هذا النحو (أن التشابه بين هذه العملية وبين ما يحدث في المالنخوليا واضح جداً) . وإذا استطاع المحلل أن يكشف علاقة الحب السابقة هذه من وراء الإحساس اللاشعوري بالذنب فإن نجاح العلاج غالباً ما يكون فائقاً . أما إذا لم يستطع المحلل أن يكشف هذه العلاقة فإن نتيجة ما يبذله من مجهودات لا تكون مؤكدة على الإطلاق . ويتوقف الأمر على الأخص على شدة الإحساس بالذنب . ولا توجد في الغالب قوة مضادة ذات شدة مماثلة يمكن أن يحركها العلاج ضد هذا الإحساس بالذنب . وربما يتوقف الأمر أيضاً على ما إذا كانت شخصية المحلل تسمح للمريض أن يضعه محل أناه المثالي . وقد يغري ذلك المحلل على أن يقوم بدور النبي أو المنجي أو المنقذ للمريض . وبما أن قواعد التحليل تعارض معارضة تامة أن يقوم الطبيب باستخدام شخصيته على هذا النحو ، فمن الواجب أن نعترف بأمانة أن ذلك يقلل أيضاً من تأثير التحليل . وعلى كل حال فليس الغرض من التحليل هو إزالة احتمال حدوث الاستجابات المرضية ، وإنما الغرض منه هو إعطاء أنا المريض (الحرية) لاختيار الطريق الذي يود أن يسلكه .

حالات كثيرة جداً ، وربما في جميع حالات العصاب الشديدة . وفي الواقع ، ربما يكون هذا العنصر بالذات في الحالة ، وهو اتجاه الأنا المثالي ، هو الذي يحدد شدة المرض العصابي . ولذلك فإننا سوف لا نتردد في أن نناقش في شيء من الإسهاب الطريقة التي يظهر فيها الإحساس بالذنب في الحالات المختلفة .

لا توجد أية صعوبة في شرح الإحساس الشعوري السوي بالذنب (الضمير) . فهو يرجع إلى التوتر بين الأنا والأنا المثالي ، وهو عبارة عن حكم بإدانة الأنا يصدر عن وظيفة الأنا النقدية . وربما يكون الشعور بالنقص المشاهد كثيراً بين العصابيين وثيق الإرتباط بالإحساس بالذنب . ويظهر الإحساس بالذنب واضحاً جداً في الشعور في مرضين معروفين جداً . ويبدي الأنا المثالي في هذين المرضين شدة خاصة ، وكثيراً ما يثور ضد الأنا في قسوة متناهية . ويسبب الأنا موقف المثالي في هذين المرضين وهما العصاب القهري[1] والمالنخوليا[2] ، إلى جانب هذه التشابه ، بعض الاختلافات الأخرى الهامة .

ويظهر الإحساس بالذنب واضحاً جداً في صور معينة من العصاب القهري ، ولكنه لا يستطيع أن يبرر نفسه لدى الأنا . وينتج عن ذلك أن يثور أنا المريض ضد هذا الاتهام بالذنب ويطلب مساعدة الطبيب لنفي هذا الاتهام . وإنه لمن الحماقة الاستسلام لذلك ، لأن الاستسلام لا يؤدي إلى نتيجة . ويبين التحليل أن الأنا الأعلى كان خاضعاً لتأثير بعض العمليات التي ظلت مختفية عن الأنا . ومن الممكن اكتشاف الرغبات المكبوتة التي تسبب الإحساس بالذنب في الحقيقة . وهكذا

---

(١) [انظر هامش ١ ص ٦٩] . (المترجم) .

(٢) [انظر هامش ١ ص ٤٧] . (المترجم) .

يقوم الدليل في هذه الحالة على أن الأنا الأعلى إنما يعرف عن الهو اللاشعوري أكثر مما يعرف الأنا .

وفكرة أن الأنا الأعلى قد يسيطر على الشعور لتبدو بشكل أكثر وضوحاً في المالنخوليا . غير أن الأنا لا يجرؤ في هذه الحالة على إبداء أي اعتراض . فهو يسلم بالذنب ويستسلم للعقاب . وتفسير هذا الفرق أمر سهل . فالدوافع التي تستحق اللوم والتي ينتقدها الأنا الأعلى لم تصبح أبداً جزءاً من الأنا في حالة العصاب القهري ، أما في المالنخوليا فقد أصبح الذي يسخط عليه الأنا الأعلى جزءاً من الأنا عن طريق التقمص .

ليس من الواضح حقاً لماذا يصل الإحساس بالذنب إلى مثل هذه الشدة الغريبة في هاتين الحالتين من الاضطراب العصابي . وفي الحقيقة ، إن المشكلة الرئيسية القائمة في هذا الموضوع إنما ترجع إلى ناحية أخرى . وسنؤجل مناقشة هذه المشكلة حتى نتناول الحالات الأخرى التي يظل فيها الإحساس بالذنب لاشعورياً .

وتوجد هذه الحالة على الأخص في الهستيريا[1] وفي الحالات ذات النمط الهستيري . ومن السهل في هذه الحالات اكتشاف العملية التي يبقى بها الإحساس بالذنب لاشعورياً . فالأنا ذو النزعة الهستيرية إنما يقوم بوقاية نفسه من الإدراك الحسي المؤلم الذي تهدده به انتقادات الأنا الأعلى بنفس الوسيلة التي يستخدمها في وقاية نفسه من شحنة نفسية لا يطيق احتمالها تكون متعلقة بأحد الموضوعات – أي بعملية كبت . ولذلك فالأنا هو المسؤول عن بقاء الإحساس بالذنب لاشعورياً . ونحن نعلم أن الأنا يقوم في العادة بتنفيذ عمليات الكبت في خدمة الأنا الأعلى وبأمره . ولكن هذه حالة

(١) [الهستيريا hysteria عصاب (أي مرض نفسي) يتميز بتحول الصراع النفسي إلى صورة اضطرابات فسيولوجية وحركية وسيكولوجية دون أن تكون هناك علل عضوية يمكن أن تسبب هذه الاضطرابات] . (المترجم) .

قد قام فيها الأنا بتوجيه نفس السلاح ضد رئيسه القاسي . وفي العصاب القهري تسود ظواهر تكوين رد الفعل كما نعلم ، أما هنا فيكتفي الأنا بإبقاء المادة التي يتعلق بها الإحساس بالذنب بعيدة عنه .

وقد نذهب إلى أبعد من ذلك ونجرؤ على أن نفترض ضرورة بقاء جزء كبير من الإحساس بالذنب لاشعورياً في العادة ، وذلك لأن نشأة الضمير تتصل اتصالاً وثيقاً بعقدة أوديب التي تنتمي إلى اللاشعور . وإذا شاء أحد أن يقول بهذه القضية المتناقضة وهي أن الإنسان السوي ليس فقط أكثر فجراً مما يعتقد ، وإنما هو أيضاً أكثر خُلُقاً مما يظن ، فإن التحليل النفسي الذي يعد مسؤولاً عن النصف الأول من القضية لا يجد أي اعتراض يوجهه إلى نصفها الثاني [١] .

وقد دهشنا حينما وجدنا أن اشتداد هذا الإحساس اللاشعوري بالذنب قد يجعل الناس مجرمين . ولكنها حقيقة لا شك فيها . فمن الممكن أن نكتشف عند كثير من المجرمين ، وخاصة الشباب منهم ، إحساساً قوياً بالذنب كان موجوداً قبل الجريمة ، وهو لذلك ليس ناتجاً عنها ، وإنما هو الدافع لها . وكأن هؤلاء الشبان يجدون شيئاً من الراحة إذا تمكنوا من ربط هذا الإحساس اللاشعوري بالذنب بشيء واقعي ومباشر .

ويقوم الأنا الأعلى في جميع هذه الحالات بإظهار استقلاله عن الأنا اللاشعوري ، وبإظهار دقة صلاته بالهو اللاشعوري . ومع ملاحظة الأهمية التي نسبناها لما في الأنا من بواقٍ لفظية قبلشعورية ، فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن هو هل يمكن أن يتكون الأنا الأعلى ، من حيث هو لاشعوري ، من مثل هذه الصور اللفظية ؛ وإذا لم

---

(١) هذه القضية متناقضة في الظاهر فقط . فهي إنما تقرر فقط أن للطبيعة الإنسانية قدرة عظيمة لكل من الخير والشر ، أعظم كثيراً مما يظن الإنسان ، أي أعظم مما يفطن إليه الإنسان عن طريق إدراكات الأنا الشعورية .

يكـن يتكون منها ، فمـم يتكـون ؟ ونحـن نجيب عـلى ذلك ، مع أن هذا الجواب لن يفيدنا كثيراً ، بأننا لا نستطيع أن نجادل في أن الأنا الأعلى يتكون من الإدراكات الحسية السمعية ، شأنه في ذلك شأن الأنا . فهو جزء من الأنا ، وهو يظل قادراً على النفاذ إلى الشعور بسهولة جداً عن طريق هذه الصور اللفظية (المفاهيم والأفكار المجردة) . ولكن «الطاقة الانفعالية» لا تصل هذه العناصر التي تكوّن مضمون الأنا الأعلى عن طريق الإدراكات الحسية السمعية والأوامر والقراءة الخ ..... ، وإنما تنشأ عن مصادر موجودة في الهو .

والسؤال الذي أجلنا الجواب عليه هو ما يأتي : كيف يتسنى للأنا الأعلى أن يظهر بالذات في صورة إحساس بالذنب (أو في صورة نقد — لأن الإحساس بالذنب عبارة عن حدوث إدراك حسي في الأنا استجابة لهذا النقد) ، ثم يقوم في نفس الوقت بإظهار مثل هذه القسوة والشدة الخارقتين للعادة نحو الأنا ؟ وإذا نظرنا إلى المالنخوليا أولاً لوجدنا الأنا الأعلى ذا البأس الشديد والمهيمن على الشعور يثور ضد الأنا في غضب لا يعرف الرحمة ، كأنه قد استحوذ على جميع السادية[1] الموجودة في الشخص . ومن الواجب أن نقول ، تبعاً لرأينا في السادية ، أن الجزء الهدام في الغريزة قد استحكم في الأنا الأعلى وأخذ يتجه ضد الأنا . وقد أصبح نفوذ غريزة الموت هو السائد الآن في الأنا الأعلى ، وغالباً ما تنجح هذه الغريزة في الواقع في دفع الأنا نحو الموت ، إذا لم يقم الأنا بوقاية نفسه من الطاغية في الوقت المناسب بالتحول إلى الهوس[2] .

---

(١) [انظر هامش ٣ ص ٦٧] . (المترجم) .

(٢) [Mania] . يذكر الهوس الآن في الغالب مقروناً بالمالنخوليا إذ يعتبر كل منهما من أعراض مرض واحد هو ذهان الهوس والاكتئاب «أنظر هامش ١ ص ٤٧» .

ويتميز الهوس بحالة من زيادة النشاط والمبالغة في وظائف ثلاث هي : التفكير ، والشعور الوجداني ، والحركة . ومن أهم مميزات الهوس في دائرة التفكير الانتقال السريع من فكرة إلى فكرة ، وعدم التركيز في موضوع معين ، وتخيل المريض العظمة والكمال والكبر

إن تأنيب الضمير في بعض الحالات المعينة من العصاب القهري لمؤلم ومعذب كذلك ، ولكن الحالة هنا أقل وضوحاً . فمن الملاحظ أن الشخص المصاب بالعصاب القهري ، على عكس الشخص المصاب بالمالنخوليا ، لا يقدم أبداً على إبادة نفسه . وهو يبدو كأن عنده مناعة ضد خطر الانتحار ، وكأنه أكثر من الهستيري وقاية ضد هذا الخطر . ونستطيع أن نرى أن ما يضمن سلامة الأنا إنما هو الاحتفاظ بموضوع الحب . ومن الممكن في العصاب القهري أن تتحول دوافع الحب إلى دوافع عدوانية متجهة ضد الموضوع ، وذلك بالنكوص إلى التنظيم السابق للمرحلة التناسلية . وهنا أيضاً تتحرر غريزة الهدم ويصبح غرضها هو إبادة الموضوع ، أو هي تبدو على الأقل كأنها تهدف إلى هذا الغرض . ولا يقبل الأنا هذه النزعات ، وهو يأخذ يكافح ضدها بما يقوم به من تكوينات رد الفعل والإجراءات الوقائية ، فتظل هذه النزعات باقية في الهو . ويتصرف الأنا الأعلى ، على أية حال ، كأن الأنا هو المسؤول عن هذه النزعات . وهو باهتمامه في مغالبة نزعات الهدم هذه إنما يبين أنها ليست مجرد شيء ظاهري سببه النكوص ، وإنما هي في الواقع إبدال الكره بالحب . ولما كان الأنا عاجزاً في كل من هاتين الناحيتين ، فهو يقوم بالدفاع عن نفسه بدون جدوى ، سواء ضد تحريض الهو القاتل أو ضد تأنيب الضمير الذي يتولى القصاص . وهو ينجح على الأقل في إيقاف أشد الأعمال وحشية من كل من هذين الجانبين . وأول ما ينتج عن ذلك هو تعذيب النفس بصفة مستمرة ، ثم يحدث بعد ذلك تعذيب منظم للموضوع إذا كان قريباً .

= ومن أهم مميزات الهوس في دائرة الشعور الوجداني المغالاة في الشعور بالصحة الجيدة والسعادة والفرح الشديد وحب المرح والفكاهة . وقد ينقلب هذا الشعور إلى غضب شديد إذا شعر المريض بالإساءة . أما في دائرة الحركة فيبدو الهوس في صورة نشاط بدني زائد عن الحد ، وفي حركة مستمرة لا تنقطع ، وفي سرعة الانتقال من عمل إلى عمل آخر] . (المترجم)

ويتم التصرف في نشاط غرائز الموت الخطيرة الموجودة داخل الفرد بطرق مختلفة : فهي تجعل ؛ من جهة ، غير مضرة وذلك بمزجها بالعناصر الجنسية ؛ وهي توجه ، من جهة أخرى ، نحو العالم الخارجي في صورة عدوان ، ولكنها في الغالب تستمر من غير شك في عملها الداخلي دون أن يعوقها عائق . فكيف يمكن إذن أن يصبح الأنا الأعلى في المالنخوليا بمثابة تجمع لغرائز الموت ؟ .

وقد يقال من وجهة نظر الأخلاق والتحكم في الغريزة والحد منها أن الهو لا يتبع قواعد الأخلاق على الإطلاق ، وأن الأنا يجتهد في أن يتبع قواعد الأخلاق ، وأن الأنا الأعلى يستطيع أن يبالغ جداً في اتباع قواعد الأخلاق فيصبح حينئذ قاسي القلب مثل الهو . ومن الملاحظ أنه كلما تغالى الإنسان في ضبط ميوله العدوانية المتجهة نحو الآخرين ، كان أناه الأعلى أكثر استبداداً ، أي أكثر عدواناً . وترى وجهة النظر العادية هذه الحالة على عكس ذلك : إذ يبدو أن المعيار الذي يضعه الأنا الأعلى إنما هو الدافع لقمع العدوان . وعلى أية حال ، فإن الحقيقة تظل كما ذكرناها : كلما اشتدَّ الشخص في ضبط عدوانه ، كانت ميول الأنا الأعلى العدوانية التي توجه ضد أنا هذا الشخص أكثر شدة . ويبدو ذلك كأنه إبدال ، أي تحول ضد أنا الشخص نفسه . غير أن الأخلاق العادية العامة قد تتصف أيضاً بالشدة فيما تفرضه من قيود ، وقد تتصف بالقسوة فيما تضعه من نواهٍ . ومن هنا ينشأ في الحقيقة تصور وجود كائن سامٍ شديد المراس يقوم بالقصاص .

لا أستطيع أن أذهب إلى أبعد من ذلك في تناولي لهذه المسائل بدون أن أضع فرضاً جديداً . فالأنا الأعلى ينشأ كما نعلم عن تقمص شخصية الأب باعتباره مثالاً . وكل تقمص من هذا النوع إنما هو بمثابة تجرد من الغريزة الجنسية ، أو بمثابة إعلاء للغريزة أيضاً . ويظهر أنه حينما يحدث تحول من هذا النوع ، يحدث أيضاً في نفس الوقت انفصال في الغرائز .

وبعد الإعلاء لا يصبح للجزء الجنسي من الغريزة القدرة على ضم كل الجزء الهدام الذي كان منضماً إليه من قبل ، فينطلق هذا الجزء في صورة ميل نحو العدوان والهدم . ويصبح هذا الانفصال في الغرائز هو السبب في ذلك الخلُق العام الذي يتسم بالخشونة والقسوة اللتين يبديهما الأنا المثالي – أي هذه الأوامر الدكتاتورية التي يصدرها وهي : « يجب عليك . . . . » .

دعنا نتناول العصاب القهري مرة أخرى للحظة قصيرة ، فالأمر فيه مختلف . إن تحول الحب إلى عداء لم يتم على يد الأنا ، ولكنه كان نتيجة نكوص حدث في الهو . غير أن هذه العملية قد تجاوزت الهو وامتدت إلى الأنا الأعلى الذي أخذ حينئذ يشتد في استبداده بالأنا البريء . وعلى أية حال ، فإنه يبدو أن ما يحدث في هذه الحالة يشبه ما يحدث في حالة المالنخوليا ، وهو أن الأنا بعد أن تسيطر على اللبيدو عن طريق التقمص ، أخذ يلقي العقاب بسبب ذلك على يد الأنا الأعلى الذي أخذ يوجه إليه العدوان الذي كان متحداً من قبل باللبيدو .

لقد ابتدأت آراؤنا عن الأنا تتضح ، كما أخذت علاقات الأنا المختلفة تتميز . ونحن الآن نرى الأنا في قوته وفي ضعفه . وهو مكلف بالقيام بوظائف هامة . وهو يقوم بفضل علاقتــه بجهاز الإدراك الحسي بتنظيم عمليات العقل في ترتيب زمني ، و « باختيار مقابلتها للواقع » . وهو يقوم بفضل إدخال عملية التفكير بتأخير حدوث الحركة ، كما يقوم بالتحكم في منافذها . وهذه المهمة الأخيرة إنما هي في الحقيقة أمر يتعلق بالشكل أكثر مما يتعلق بالواقع . فموقف الأنا فيما يتعلق بالحركة إنما يشبه موقف الملك الدستوري الذي لا يمكن أن يمر أي قانون بدون تصديقه عليه ، ولكنه مع ذلك يتردد كثيراً من أن يلغي أي قانون يضعه البرلمان . وتقوم جميع خبرات الحياة التي تصدر من الخارج بزيادة ثروة الأنا ؛ أما الهو فعالم خارجي آخر بالنسبة إلى الأنا ، وهو يسعى لكي يخضعه لسلطته .

ويقوم الأنا بسحب الليبيدو من الهو ، وبتحويل الشحنات النفسية المتجهة من الهو نحو الموضوع إلى أبنية ذاتية . وهو يقوم ، بمساعدة الأنا الأعلى بطريقة لا زالت غامضة لنا ، باستعادة خبرات العصور السابقة المخزونة في الهو .

وهناك مسلكان يمكن أن تنفذ منهما محتويات الهو إلى الأنا ؛ وأحد هذين المسلكين مباشر ، أما الآخر فيمر عن طريق الأنا المثالي . وللمسلك الذي تتخذه محتويات الهو من بين هذين المسلكين أهمية حاسمة بالنسبة إلى بعض أوجه النشاط العقلي . وينشأ الأنا من إدراك الغرائز ومن التحكم فيها ، ومن إطاعة الغرائز ومن قمعها . ويتم جزء كبير من هذا الإنجاز على يد الأنا المثالي الذي هو في الحقيقة عبارة عن تكوين رد فعل بصورة جزئية ضد العمليات الغريزية في الهو . والتحليل النفسي عبارة عن وسيلة تمكن الأنا من زيادة سيطرته على الهو .

ونحن نرى هذا الأنا نفسه ، من جهة النظر الأخرى ، كأنه مخلوق ضعيف يقوم بخدمة أسياد ثلاثة ، وهو مهدد تبعاً لذلك بثلاثة أخطار مختلفة : من العالم الخارجي ، ومن لبيدو الهو ، ومن قسوة الأنا الأعلى . وهناك ثلاثة أنواع من القلق تقابل هذه الأخطار الثلاثة ، إذ أن القلق عبارة عن تراجع أمام الخطر . ومثل الأنا مثل المواطن لمنطقة تقع على الحدود ، فهو يحاول أن يتوسط بين العالم وبين الهو ، وأن يجعل الهو يسلم بمقتضيات العالم ، وأن يقوم بوساطة النشاط العضلي بتعديل العالم لملاءمة رغبات الهو . وهو في الحقيقة إنما يتصرف كما يتصرف الطبيب أثناء العلاج بالتحليل : فهو يهب نفسه للهو كموضوع لبيدي ، نظراً لما يبديه من الاهتمام بالعالم الواقعي ، كما يهدف إلى ضم لبيدو الهو إلى نفسه . وهو ليس فقط حليفاً للهو ، وإنما هو أيضاً عبد مستسلم يطلب حب سيده . وهو يحاول أن يظل على صلات طيبة مع الهو كلما كان ذلك ممكناً . وهو يسدل ستار التبريرات القبلشعورية على الرغبات اللاشعورية

الخاصة بالهو . وهو يدعي أن الهو يقاوم بإظهار طاعته لأوامر الواقع ، حتى ولو ظل في الحقيقة عنيداً لا يتزعزع عن رأيه . وهو يقوم بإخفاء صراعات الهو مع الواقع ، وكذلك بإخفاء صراعاته هو مع الأنا الأعلى أيضاً إذا كان ذلك ممكناً . وإن مكانه في وضع متوسط بين الهو والواقع ليغريه في أغلب الأوقات لكي يصبح منافقاً ، ونهازاً للفرص ، وكاذباً ، مثل الرجل السياسي الذي يرى الحقيقة ولكنه يريد أن يبقى على منزلته في تقدير الرأي العام .

وليس اتجاه الأنا بالنسبة إلى هذين النوعين من الغرائز اتجاهاً محايداً . فما يقوم به من تقمص وإعلاء إنما يساعد غرائز الموت في الهو على التغلب على الليبدو ، ولكنه بعمله هذا إنما يعرض نفسه لأن يصبح هدفاً لغرائز الموت وللهلاك . ولكي يستطيع الأنا أن يكون مفيداً بهذه الطريقة ، يجب عليه أن يمتلئ هو نفسه بالليبدو ، وهكذا يصبح الأنا ممثلاً لإيروس ، ويأخذ منذ ذلك الوقت يرغب في أن يحيي وفي أن يكون محبوباً .

ولكن بما أن عمل الأنا الخاص بالإعلاء يؤدي إلى انفصال الغرائز وإلى تحرر الغرائز العدوانية في الأنا الأعلى ، فإن كفاح الأنا ضد الليبدو إنما يعرضه إلى الضرر والموت . وحينما يقع الأنا فريسة لهجمات الأنا الأعلى ، أو ربما حينما يستسلم لهذه الهجمات أيضاً ، فإنه يلاقي مصيراً يشبه مصير البروتوزوه[1] التي يصيبها الهلاك نتيجة للانحلال الذي تسببت هي نفسها في حدوثه . وإن الأخلاق التي تسود الأنا الأعلى لتبدو ، من وجهة النظر الاقتصادية ، كأنها نتيجة للانحلال كذلك .

---

(١) [Protozoa البروتوزوه هي الحيوانات الأولية التي تتركب من خلية واحدة أو من عدة خلايا قليلة متشابهة . وتتكاثر هذه الحيوانات بالانشقاق] . (المترجم) .

لعل علاقة الخضوع التي تربط الأنا بالأنا الأعلى هي أهم جميع علاقات الخضوع التي يشترك فيها الأنا .

إن الأنا هو الموطن الحقيقي للقلق . فحينما يشعر الأنا بالخطر يهدده من جهات ثلاث ، فإنه يبدأ يتعلم الهرب كرد فعل منعكس ، وهو يفعل ذلك بسحب شحنتة النفسية من إدراك الشيء الذي يهدده أو من العملية المخيفة التي تجري في الهو ، ثم يقوم بإطلاق هذه الشحنة النفسية في صورة قلق . ويبدل رد الفعل الفطري هذا فيما بعد وتحل محلة شحنات نفسية وقائية (حيلة المخاوف المرضية[1]) . وليس من الممكن تحديد حقيقة الشيء الذي يخافه الأنا سواء كان ذلك خطراً خارجياً أو خطراً لبيدياً . ونحن نعلم أنــه خــوف مــن الانهيــار أو الانعدام ، ولكــن ذلك أمــر لا يتحدد بالتحليل . إن الأنا إنما يطيع فقط التحذير الذي يوجهه إليه مبدأ اللذة . وإنه يمكننا ، من جهة أخرى ، أن نعرف العوامل المستترة وراء خوف الأنا من الأنا الأعلى ، أي خوفه من الضمير . فإن ذلك الكائن السامي الذي أصبح فيما بعد الأنا المثالي ، قد قام ذات مرة بتهديد الأنا بالخصاء ، ومــن المحتمل أن يكون هذا الخوف من الخصاء هو النواة التي تجمع حولها فيما بعد ذلك الخوف من الضمير . إن هذا الخوف هو الذي يبقى في صورة الخوف من الضمير .

وليس هناك معنى إطلاقاً لهذه العبارة الطنانة : «كل خوف هو في النهاية خـوف من الموت» ، وعلى أية حال ، فليس من الممكن تبرير هذه العبارة . ويبدو لي ، على العكس ، أنه من الصواب جداً أن نميز بين الخوف من الموت وبين كل من الخوف من شيء خارجي (القلق الموضوعي) ،

---

(١) [Phobias . من أمثلة المخاوف المرضية الخوف من الأماكن المغلقة أو الضيقة أو المرتفعة أو الفسيحة ، والخوف من الأشياء المدببة ، أو من الظلام ، أو من الماء ، أو من الحيوانات الأليفة] . (المترجم) .

والقلق الجنسي العصابي[1] . ويثير هذا الموضوع مشكلة صعبة للتحليل النفسي ، وذلك لأن الموت معنى مجرد ذو مضمون سلبي لا يمكن أن يوجد له أي متعلق لاشعوري . ويبدو أن حيلة الخوف من الموت هي فقط عبارة عن تخلي الأنا بدرجة كبيرة جداً عن شحنته اللبيدية النرجسية ، أي أنها عبارة عن تخلي الأنا عن نفسه كما يقوم تماماً بالتخلي عن بعض الموضوعات «الخارجية» في الحالات الأخرى التي يشعر فيها بالقلق . إني أعتقد أن الخوف من الموت إنما هو شيء يتعلق بالتفاعل بين الأنا والأنا الأعلى .

إنا نعلم أن الخوف من الموت يظهر في حالتين (وهاتان الحالتان أيضاً شبيهتان كل الشبه بالحالات الأخرى التي ينشأ فيها القلق) ، أي أنه يظهر كرد فعل لخطر خارجي ، أو كعملية داخلية كما في المالنخوليا . وهكذا نرى مرة أخرى أن ظاهرة عصابية قد تعيننا على فهم ظاهرة سوية .

إن الخوف من الموت في المالنخوليا يقبل فقط تفسيراً واحداً : إن الأنا يقوم بتسليم نفسه لأنه يشعر أنه مكروه ومضطهد من الأنا الأعلى ، بدلاً من أن يكون محبوباً . فمعنى الحياة عند الأنا هو أن يكون محبوباً ، أي يكون محبوباً من الأنا الأعلى الذي يبدو هنا أيضاً كأنه يقوم بتمثيل الهو . ويقوم الأنا الأعلى بوظيفة الوقاية والحفظ ، وهي نفس الوظيفة التي كان يقوم بها الأب في الأيام الأولى ، ثم العناية الإلهية أو القضاء والقدر فيما بعد . ولكن حينما يجد الأنا نفسه وقد أحدق به خطر حقيقي يعتقد أنه لا يستطيع التغلب عليه بقوته الخاصة ، فإنه يضطر لاستنتاج نفس هذه

---

(١) [يميز فرويد بين القلق الموضوعي objective anxiety وبين القلق العصابي neurotic anxiety. فالقلق الموضوعي هو الخوف الطبيعي الذي يحدث كرد فعل لتوقع خطر حقيقي خارجي . أما القلق العصابي فهو خوف من خطر غريزي داخلي . انظر كتاب الكف والعَرَض والقلق ، لفرويد ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الثالثة ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٢] . (المترجم) .

النتيجة . إنه يرى نفسه وقد تخلت عنه جميع قوى الوقاية ، فيأخذ يستسلم إلى الموت . وفضلاً عن ذلك فإنا نجد هنا حالة تشبه تماماً تلك الحالة التي سببت حالة القلق الشديدة الأولى الناشئة عن الولادة ، وكذلك قلق الطفولة الناشئ عن الشوق ـ وهو القلق الذي ينشأ عن الانفصال عن الأم التي تقوم بالوقاية .

وتمكننا هذه الاعتبارات من فهم الخوف من الموت على اعتبار أنه ناشئ عن الخوف من الخصاء ، شأنه في ذلك شأن الخوف من الضمير . إن الأهمية الكبيرة التي تنسب إلى الإحساس بالذنب في الأمراض العصابية تجعلنا ندرك أن القلق العصابي العادي إنما يتدعم في الحالات الشديدة بنشوء القلق بين الأنا والأنا الأعلى (الخوف من الخصاء ، والخوف من الضمير ، والخوف من الموت) .

وليس للهو الذي نعود إليه أخيراً أية وسيلة يظهر بها الحب أو الكره للأنا . إنه لا يستطيع أن يقول ماذا يطلب ؛ إنه مقسم الإرادة . فإيروس وغريزة الموت يتصارعان في داخله . وقد رأينا الأسلحة التي تستخدمها إحدى هاتين المجموعتين من الغرائز في الدفاع عن نفسها ضد المجموعة الأخرى . ومن الممكن أن نصور الهو كأنه خاضع لسيطرة غرائز الموت الصامتة والقوية في نفس الوقت ، تلك الغرائز التي تود أن تكون في سلام ، وأن تدع إيروس الدخيل يستريح (كما يطلب مبدأ اللذة) . غير أن ذلك ربما يجعلنا نقلل من قيمة الدور الذي يلعبه إيروس .

معجم لمصطلحات التحليل النفسي الواردة في الكتاب

[A]

Ambivalence	التناقض الوجداني
Anal phase	المرحلة الإستية
Anxiety	قلق
neurotic —	قلق عصابي
objective —	قلق موضوعي

[B]

Bisexuality	الثنائية الجنسية

[C]

Castration	خصاء
— complex	عقدة الخصاء
Cathexis	شحنة نفسية
object- cathexis	شحنة نفسية متعلقة بالموضوع ، حب الموضوع
Character	خلُـق
Complex	عقدة
Conscious	(١) الشعور (٢) شعوري (٣) شاعر ب

[D]

Depression	اكتئاب

Desexualization	سحب الطاقة الجنسية
Differentiation	تمايز ، تغاير
Displacement	نقل

[E]

Ego	الأنا
— Instincts	غرائز الأنا
Body-Ego	أنا بدني
The Ego Ideal	الأنا المثالي
Epilepsy	الصرع
Equilibrium	الاتزان
Eros	إيروس (غريزة الحب والحياة)

[F]

Father complex	عقدة الأب
Feeling	شعور وجداني ، وجدان

[G]

Genital	تناسلي
— Phase	المرحلة التناسلية
Guilt	ذنب
Sense of —	الإحساس بالذنب

[H]

Hallucination	هلوسة
Homosexualtiy	الجنسية المثلية
Hypochondriasis	هجاس
Hysteria	هستيريا

[I]

Id	الهو
Identification	تقمص ، توحد
Inhibition	كف
Instinct	غريزة
Death —	غريزة الموت
Destructive —	غريزة الهدم
Ego-Instincts	غرائز الأنا
Introjection	امتصاص

[L]

Latency	كمون
— phase	مرحلة الكمون
Libido	الليبدو : (١) الطاقة الجنسية
	الليبدو : (٢) الطاقة النفسية
Opject —	الليبدو المتعلق بالموضوع ، لبيدو الموضوع
narcissistic	الليبدو النرجسي

[M]

Mania	هوس
Manic-depreseive Psychosis	ذهان الهوس والاكتئاب
Masochism	الماسوكية (التلذذ من إيلام الذات)
Mechanism	حيلة ، آلية
Melancholia	المالنخوليا
Mental	عقلي ، نفسي
— Dynamism	الدينامية العقلية
Metapsychology	الميتاسيكولوجيا (ما بعد علم النفس)

[N]

Narcissism	النرجسية

Primary —	النرجسية الأولية
Secondary —	النرجسية الثانوية
Neurosis	عصاب
Traumatic —	عصاب الصدمة

[O]

Obsession	حصار ، وسواس متسلط
Obsessional neurosis	عصاب حصاري ، عصاب قهري
Oedipus	أوديب
— Complex	عقدة أوديب
Complete — complex	عقدة أوديب الكاملة
Ontogenesis	نشوء الفرد
Oral	فمي
— Phase	المرحلة الفمية

[P]

Paranoia	البارانويا
Persecutory —	البارانويا الاضطهادية
Phallic	قضيبي
— Phase	المرحلة القضيبية
Phobia	خُواف ، خوف مرضي
Phylogenesis, Phylogeny	نشوء النوع أو الجنس
Pleasure	لذة
— Principle	مبدأ اللذة
Preconscious	ما قبل الشعور ، قبلشعوري
Process	عملية
Primary —	العملية الأولية
Secondary —	العملية الثانوية

[R]

Reaction formation	تكوين رد الفعل
Reality	الواقع
— Principle	مبدأ الواقع
— Testing	اختبار الواقع
Regression	نكوص
Repetition-Compulsion	إجبار التكرار
Repression	كبت
Resistance	مقاومة

[S]

Sadism	السادية (التلذذ من إيلام الغير)
Sadistic	سادي
Sublimation	إعلاء ؛ تسامي
Super Ego	الأنا الأعلى

[T]

Taboo	محرم
Incest —	تحريم زواج المحارم
Therapy	علاج
Therapy	الطبوغرافيا (وصف الأماكن أو المواضع)
Topography	الطوطم
Totem	الطوطمية
Totemism	تحويل
Transference	عصاب الصدمة
Traumatic neurosis	

[U]

Unconscious	(١) اللاشعور (٢) لاشعوري

دليل الاعلام

دليل الموضوعات

مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي

بإشراف الدكتور محمد عثمان نجاتي

- معالم التحليل النفسي تأليف سيجمند فرويد ، ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٢
- الأنا والهو تأليف سيجمند فرويد ، ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٢
- الكف والعَرَض والقلق تأليف سيجمند فرويد ، ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢
- ثلاث رسائل في نظرية الجنس تأليف سيجمند فرويد ، ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الثانية (تحت الطبع)

مَكتَبَة أصُول عِلم النَفْس الحَديْث

يشرف على ترجمتها
الدكتور محمد عثمان نجاتي

صدر منها:

علم النفس الاكلينيكي: تأليف جوليان ب. روتر
ترجمة الدكتور عطية محمود هنا،
استاذ علم النفس بجامعة عين شمس
وجامعة الكويت
دار القلم بالكويت، ١٩٧٧.

علم نفس الشواذ: تأليف شيلدون كاشدان
ترجمة الدكتور أحمد عبد العزيز سلامة، أستاذ
علم النفس بجامعة الأزهر وجامعة الرياض.
دار القلم بالكويت، ١٩٧٧.

الشخصية: تأليف ريتشارد س. لازاروس
ترجمة الدكتور سيد محمد غنيم
استاذ علم النفس بجامعة عين شمس
وجامعة الامارات العربية.
دار الشروق بيروت، ١٩٨١

التعلم: تأليف سارنوف د. ميرنيك، وهوارد د.
پوليو، واليزابت ف. لوفتاس
ترجمة الدكتور محمد عماد الدين إسماعيل،
استاذ علم النفس بجامعة عين شمس وجامعة الكويت
دار الشروق بيروت، ١٩٨١.

للدكتور محمد عثمان نجاتي

- الإدراك الحسي عند ابن سينا ، بحث في علم النفس عند العرب .
  الطبعة الثالثة (مزيدة ومنقحة) . دار الشروق ببيروت ، ١٩٨٠
- علم النفس في حياتنا اليومية .
  الطبعة الثامنة (مزيدة ومنقحة) . دار القلم بالكويت ، ١٩٨٠
- علم النفس الصناعي .
  الطبعة الثالثة (مزيدة ومنقحة) مؤسسة الصباح بالكويت ، ١٩٨٠
- المدنية الحديثة وتسامح الوالدين .
  الطبعة الثانية (منقحة) . دار النهضة العربية بالقاهرة ، ١٩٧٤
- علم النفس الحربي .
  الطبعة الثالثة (منقحة) (نقد)
- ملامح جريمة القتل .
  بالاشتراك مع آخرين ، من منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٧١
- القرآن وعلم النفس .
  الطبعة الأولى ، دار الشروق ببيروت ، ١٩٨٢

مطابع الشروق

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥١٠١ - برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٧٧٤٨١٤ - برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN

هـذا الكتاب

ظهرت الطبعة الألمانية الأولى لهذا الكتاب عام ١٩٢٣ م . وظهرت أول ترجمة إنجليزية له في لندن عام ١٩٢٧ م . ثم صدرت في عام ١٩٦١ م ترجمة إنجليزية معدلة لهذا الكتاب ضمن مجموعة مؤلفات فرويد الأخرى (The Standard Edition) . ثم صدرت هذه الترجمة الأخيرة المعدلة لهذا الكتاب في كتاب مستقل نشر في أمريكا في عام ١٩٦٢ م . وظهرت أول ترجمة عربية لهذا الكتاب في القاهرة في عام ١٩٥٤ م بقلم محمد عثمان نجاتي . ثم روجعت أخيراً هذه الترجمة العربية على أساس الترجمة الإنجليزية الأخيرة المعدلة ، وأدخلت بعض التنقيحات في الطبعة الرابعة .